زوجات النبى صلى الله عليه وسلم

وسراريه

والحكم فى تعدد الزوجات

تاليف
بكر محمد ابراهيم

المكتبة المحمودية

زوجات النبى ﷺ

وسراريه

والحكمـة فى تعـدد الزوجـات

تأليف الكاتب الإسلامى

الشيخ/ بكر محمد إبراهيم (أبو هيثم)

الناشر

المكتبة المحمودية

ميدان الأزهر الشريف ت: ٥١٠٣٠٦٧

رقم الإيداع ١٨٤٤٥ / ٢٠٠١

دار البيان للطباعة

هدفنا نشر الكتاب الأسلامى

تليفون وفاكس : ٢٩٧٠١٨٠

المقـــدمـــة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعــده سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه .

وبعد :

فهذا كتاب في سيرة زوجــات الرسول ﷺ وسراريه يتحدث عن أمهات المؤمنين الصحــابيات التــقيــات رضي الله عنهن وعن ســراري رسول الله ﷺ وهمــا مارية القبطية المصرية وريحانة بنت زيد .

وهؤلاء السيــدات الفضليات والصحــابيات الجليلات هن القــدوة لنساء المسلمين نعرض لســيرتهن حتى نبــدد بهذه السيرة العطرة ظــلمات الجهالة ومــا ظهر في هذا العصر من ســفور وتبرج وخروج على مقتــضيات الشريعة وجــعل المرأة سلعة تباع وتشــترى تلهــث وراء الموضة والمظهــريات الكاذبة دون العنــاية بالجوهر وإصــلاح القلوب والالتزام بمنهج الإســلام ، فاتبعن كل ناعق وقلدن الغــرب الملحد وعظمن كل ما هو دخيل على الإسلام والمسلمين لمجرد أنه أجنبى .

نفعنا الله بسيــرة هؤلاء النسوة الفضليات التقيات الــورعات وهدى نساءنا إلى ما يحب ويرضى .

والحمد لله أولاً وآخرًا .

المؤلف

الكاتب الإسلامي

بكر محمد إبراهيم

نساء النبي ﷺ

أمهـــات المؤمنـــين

١ - السيدة / خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

٢ - السيدة / سودة بنت زمعة العامرية رضي الله عنها .

٣ - السيدة / عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها .

٤ - السيدة / حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها .

٥ - السيدة / زينب بنت خزيمة رضي الله عنها .

٦ - السيدة / أم سلمة بنت زاد الركب رضي الله عنها .

٧ - السيدة / زينب بنت جحش رضي الله عنها .

٨ - السيدة / جويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها .

٩ - السيدة / صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها .

١٠ - السيدة / أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها .

١١ - السيدة / ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها .

١٢ - السيدة / مارية القبطية (المصرية) رضي الله عنها .

هذه أسماء زوجات النبي ﷺ أمـهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ،وكونهن أمهات المؤمنين فهذه رتبة عالية جعلتـهن سيدات نساء العالمين ، وقبلهن كانت مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون .

وبنات النبي ﷺ أيضًا من سيدات نساء العالمين .

وأمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ بمثابة أمـهات لكل مؤمن وكل مسلم لا يحل لأحـد من الناس بعـد الرسول ﷺ الـتزوج منهن وإلـيك قصـة كل واحـدة منهن سنعرضها في الفصول التالية :

١ - السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

السيدة خديجة بنت خويلد هي الزوجة الأولى للرسول ﷺ عاشت معه قبل البعثة وسنين بعدها ، ولم يجمع الرسول ﷺ بينها وبين غيرها من الزوجات .

تحملت العبء الأكبر مع النبي ﷺ في بداية الدعوة وحتى آخر يوم من حياتها المباركة رضي الله عنها ، بالإضافة إلى أنها أنجبت للنبي ﷺ كل أولاده من البنين والبنات فيما عدا إبراهيم عليه السلام فإنه من مارية القبطية (أي المصرية) .

لقد كانت من أغنياء مكة لها تجارة واسعة ، ومال وافر ، وسمعة حسنة وأخلاق كريمة ، فتزوجت مرتين قبل رسول الله ﷺ ومات عنها الزوجان ، وقررت ألا تتزوج وتتفرغ لإدارة أموالها حتى رأت النبي ﷺ كما سنعرفه عما قريب .

وكان من عادة أهل مكة أن يخرجوا للتجارة في رحلتين سنويتين إحداها في فصل الصيف إلى الشام والأخرى في فصل الشتاء إلى اليمن ، وهما المعروفتان برحلتي الشتاء والصيف المذكورتين في سورة قريش .

قال تعالى : ﴿ **لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ [سورة قريش] .

وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها تستأجر التجار ليخرجوا بتجارتها وأموالها في رحلتي الشتاء والصيف .

التعارف :

كان لخديجة رضي الله عنها غلام - خادم - يسمى ميسرة كانت ترسله مع القوافل المسافرة بتجارتها في رحلات الشام واليمن ، وكان ميسرة يقدم لها تقريراً

بعد كل رحلة عما حدث فيها وعن الأمناء والخونة وعن ربح التجارة أو خسارتها ، فقد كان عندها مصدقًا ومحل ثقة ، وهو أقرب إليها من التجار الذين تستأجرهم لأنه يعيش في بيتها وكان ربيب نعمتها وإحسانها .

وكانت تبحث عن رجل أمين صادق يخرج بتجارتها تطمئن إلى أمانته ونزاهته .

وكان محمد ﷺ معروفًا قبل البعثة بالصادق الأمين ، قد اشتهر بأمانته وصدقه ونزاهته وعفته وحميد أخلاقه .

وأرسلت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى محمد ﷺ كي يخرج مع قافلة التجارة لها في رحلة الصيف إلى الشام وكان وقتئذ دون الخامسة والعشرين .

ووعدته أن تعطيه مثل غيره من التجار القرشيين . . وخرج معه خادمها ميسرة كعادته يراقب القافلة ليرى ويسمع ما يدور ويخبر سيدته عند عودته إليها .

وكانت تلك الرحلة مختلفة عن كل الرحلات التي سبقتها فقد رأى ميسرة عجبًا . . رأى سحابة في السماء تظل محمداً ﷺ ، وتسير معه أينما سار كأنها مأمورة أن تظله وتحميه من حرارة الشمس .

وتأكد ميسرة أن هذه السحابة مخصصة لمحمد ﷺ فقط دون غيره وذلك عندما أراد أن يستظل بها بأن يسير مع محمد ﷺ . فإذا بالسحابة تنصرف عنه وهذه من علامات النبوة وإرهاصاتها (مقدماتها) .

* بحيرى الراهب :

وفي الطريق . . . وأثناء استراحة القافلة قبل بلوغ الشام جلس محمد ﷺ وميسرة تحت ظل شجرة يستريحان من تعب السفر ، وكان أمامهما صومعة (وهي بيت عبادة للنصارى) ويلحق بها مسكن ، وعادة ما يكون بها فرد واحد أو أفراد قليلون وهي صورة مصغرة من الكنيسة ، يقصد بالإقامة بها التعبد والعزلة عن الناس ، وتخصص هذه الصوامع للرهبان (عباد النصارى) .

وكانت تلك الصومعة لراهب يسمى بحيرا ، الذي شاهد من صومعته النبي ﷺ وهو يجلس تحت الشجـرة ، ورأى السحابة التي كـانت تظل النبي ﷺ وعرف أنه نبي آخر الزمان ، فإنه ﷺ كان معروفًا بعلامات يعرفها اليهود والنصارى من كتبهم خـاصة علمـاؤهم كمـا قال تعـالى في سورة الأنعـام : ﴿ **الذين آتينـاهم الكتـاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ أي النبي ﷺ .

نادى الراهب بحيرى على ميسرة وسأله :

من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟

قال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .

فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي !!

أي أن الجلـوس تحت هــذه الشجـرة عـلامـة على النبـوة فـضـلاً عن تظليل السحابة .

وكان للنبي ﷺ علامات جـسدية أخرى منها خاتم النبوة بين كـتفيه ، وأنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه ، وأنه ينام جسده ولا ينام قلبه .

فضلاً عن علامات معنوية كـحلمه على من يجهل عليه وأن الجهل لا يزيده إلا حلمًا ، وأنه لا ينتقم لنفســه وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة ومنهـا أن مهاجره يكون إلى أرض ذات نخل وغير ذلك من العلامـات التي ظهرت بالتدريج ، فضلاً عن المعجزات التي أيده الله سـبحانه وتعالى بها ، ومنها ظهـور نجم فى السماء ولا يطلع إلا مع مولـد نبي . وقد أعلم بذلك أحد علمـاء اليهـود ونادى صارخًا عند مولده ﷺ ولد أحمد ولد أحمد .

وباع النـبي ﷺ البـضـاعة التـي خرج بهـا من مكة ، كان قد ربح ربحًا وفـيرًا فعاد إلى مكة غانمًا رابحًا ، وحـكى ميسـرة لسيدتـه خديجـة أمر مـحمد ﷺ وما كان من أمـانته وصدقه في البـيع والشراء ، وفي أموره كلهـا ، ومـا قاله الراهب عنه .

وأدركت السيدة خديجة رضي الله عنها أن محمدًا ﷺ سوف يكون له شأن عظيم ، وأعجبت بصفاته وأخلاقه ، فأحبته وغيرت رأيها في مسألة الزواج وفي الرجال وعزمت على أمر فكرت فيه ورغبت .

*** زواج خديجة رضي الله عنها من النبي ﷺ قبل البعثة :**

ذهبت خديجة إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان يعبد الله على شريعة المسيح عليه السلام « نصرانيًا » وكان عالمًا قرأ الكتب القديمة ومنها التوراة والإنجيل ، وروت له ما أخبرها به غلامها « ميسرة » وما قاله الراهب وما رآه من أمر السحابة فقال لها ورقة بن نوفل :

لئن كان هذا حقًا يا خديجة فإن محمدًا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه قد أظل زمان نبي آخر الزمان .

وزاد إعجاب خديجة بمحمد ﷺ وقوى عزمها على الزواج منه ، فأرسلت إلى امرأة صديقة لها وهي نفيسة بنت أمية التميمية . . وذهبت إليه لتعرض عليه الزواج من السيدة خديجة ومهدت أولاً بذكر الزواج بصفة عامة .

قالت : يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ؟

قال لها محمد ﷺ : ما بيدي ما أتزوج به .

قالت : فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية، ألا تجب؟

قال لها محمد ﷺ : فمن هي ؟

قالت له : خديجة .

قال لها محمد ﷺ : وكيف لي بذلك؟

*** الخطبة والزواج :**

عادت السيدة نفيسة بنت أمية إلى السيدة خديجة رضي الله عنها وأخبرتها بما دار من حديث بينها وبين محمد ﷺ ، فأرسلت إليه بالموافقة على الزواج منه ، فيأتي

إليها خاطبًا بصحبة عمه أبي طالب ، وتقول له : يا ابن العم إني قد رغبت فيك لحسن خلقك وصدق حديثك .

ويلقي عمه أبو طالب خطبة زواج يفخر فيها بحسبهم ونسبهم ويمدح محمدًا ﷺ بشرف النسب والحسب وأنه من خير البيوت ويثني عليه وعلى أخلاقه ويقول إن كان ابن أخي فقيرًا فإن المال عرض زائل .

وقد خطب أبو طالب خديجة رضي الله عنها لمحمد ﷺ من عمها عمرو بن أسد وكان يصحب معه أخاه حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ .

ويقبل عم خديجة الزواج وتقام الأفراح والموائد وتنحر الإبل ويدعى الناس إلى الطعام والولائم .

وكان مما قاله أبو طالب في خطبة الزواج :

الحمد لله الذي جعلنا ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل حفظة بيته الحرام وسدنة حرمه الآمن ، وآتانا الحكم بالحق ، والأمانة . . . يا معشر قريش هذا ابن أخي محمد بن عبد الله له رغبة في خديجة بنت خويلد ولها فيه مثل ذلك . . وهو إن كان قلا في المال ، فإن المال أمر حائل (زائل) ، ووديعة مستردة وما يوزن محمد برجل إلا رجح به شرفًا وعقلاً .

ثم وقف عم السيدة خديجة ووكيلها في عقد الزواج قائلاً :

إنه الفتى الذي يفلح .

وهكذا تم الزواج بين محمد ﷺ والسيدة خديجة رضي الله عنها وكان عمر النبي ﷺ وقتها خمس وعشرون سنة ، وكان عمر خديجة أربعين سنة وكان زواجًا مباركًا تكونت منه أسرة كريمة .

*** في بيت الزوجية :**

كان بيت خديجة أسعد البيوت ترفرف عليه رايات السعادة ويشع نورًا وهدى

وسلامًا .

لقد تزوجت قبل النبي ﷺ مرتين من عتيق بن عابد بن عبد الله المخزومي ومات ، ومن قبله تزوجت بأبى هالة بن زرارة التميمي وقد مات أيضًا . وهما من أشراف العرب ، أما زواجها بمحمد ﷺ ورغم أنه كان فقيرًا إلا أنه كان أسعد زواج وأكثره بركة حيث عاش الزوجان الكريمان حياة ملؤها الحب والسكينة ، وأنجبت له أولاده . . القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم أجمعين .

وقد كان محمد ﷺ لا يشرب الخمر ولا يعبد الأصنام ولا يقارف العادات السيئة التي كان يفعلها أهل الجاهلية .

وتمر الأيام والسنون ويتربى الأبناء في هذا البيت الكريم ، وكان الرسول ﷺ قبل البعثة (النبوة) قد حبب إليه الخلوة والاعتزال في غار حراء للعبادة والتأمل ، وكانت خلوته في شهر رمضان من كل عام .

وكانت السيدة خديجة تساعده وتعد له ما يكفيه من زاد في خلوته وترسل إليه في كل حين من يسأل عنه ويطمئنها عليه .

كان غار حراء يقع في جبل على مشارف مكة ، وكان يجلس فيه يختلي بنفسه ويعبد رب هذا الكون على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام . وظل الأمر هكذا حتى جاءه أمين الوحي جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وسفير الله إلى رسل الله وأنبيائه ، جاءه في صورة رجل يسمى دحية الكلبي وضمه ضمة شديدة وقال له اقرأ .

ورد عليه النبي ﷺ ما أنا بقارئ .

فكررها معه ثانية وثالثة . في الثانية قال : ما أنا بقارئ ، وفي الثالثة قال : ما أقرأ .

قال جبريل عليه السلام :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ .

وكانت تلك الآيات من سورة العلق هي أول ما نزل من الوحي على رسول الله ﷺ .

وكان قبل ذلك قد ظهرت إرهاصات نبوته حيث حدث عند مولده أن غارت بحيرة ساوة وتهدمت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى ، وهزم أبرهة الذي أراد أن يهدم الكعبة وهو ملك اليمن من قبل النجاشي ملك الحبشة ، أهلكهم الله في عام مولد النبي ﷺ بأن أرسل عليه وعلى جيشه طيرًا كثيرًا من البحر ألقت عليهم حجارة من النار فجعلتهم كالتبن وجعلت أبرهة وقومه عبرة لمن يفكر في الاعتداء على الكعبة المشرفة .

وعندما كبر النبي ﷺ كانت الأشجار والأحجار تسلم عليه بالنبوة فتقول له السلام عليك يا رسول الله .

عاد النبي ﷺ مسرعًا خائفًا إلى بيته يرتجف من هول ما رأى وسمع وتلقته خديجة الزوجة الحنون بما يهون عليه ويهدأ من روعه ، وهو يقول لها زملوني زملوني (أي غطوني) ، فوضعت عليه الأغطية حتى ذهب عنه الفزع وأخبرها الخبر وقال لها : لقد خشيت على نفسي .

ولكن خديجة صاحبة الفراسة والحكمة تقول له :

كلا ، والله ما يخزيك الله أبدًا . . إنك لتصل الرحم وتحمل الكل (الضعيف) وتكسب المعدوم (الفقير) وتصدق الحديث وتقري (تطعم) الضيف وتعين على نوائب الحق فوالله ما يخزيك الله أبدًا .

وقرأ النبي ﷺ ما سمع من جبريل عليه السلام فعلمت أن هذا ليس من كلام البشر أو الجن وأنه كلام الله تعالى ، وحكى لها أنه لما خرج من الغار بعد أن قابله الملك رأى في السماء الملك على هيئته الحقيقية كبير الحجم جدًا ذو أجنحة كثيرة

يسد الأفق بأجنحته ويقول له :

يا محمد أنا جبريل وأنت نبي الله ورسوله .

وتأكد لخديجة رضي الله عنها أن زوجها محمدًا هو رسول الله ﷺ ونبي آخر الزمان الذي حدثها عنه ابن عمها ورقة بن نوفل وحدثت به البشارات .

فذهبت معه إلى ابن عمها . . وحكى له النبي ﷺ ما حدث له في الغار ، فقال له ورقة فرحًا :

قدوس . قدوس . هذا هو الناموس (الوحي) الذي نزل على موسى . .

ليتني كنت جذعًا (قويًا) ليتني كنت حيا إذ يخرجك قومك .

قال له رسول الله ﷺ :

أومخرجى هم ؟

قال ورقة : نعم . لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

❊ خديجة أول من أسلم :

لقد صدقت خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ، وآمنت به وأسلمت لله رب العالمين ، فكانت أول من آمن بالرسول ﷺ على الإطلاق فضلاً عن أنها تعتبر أول من آمن من النساء .

ثم نزلت سورة المدثر وفيها الأمر للرسول ﷺ بتبليغ دعوة ربه : ﴿ **يا أيها المدثر ❊ قم فأنذر ❊ وربك فكبر ...** ﴾ الآيات [المدثر :١ - ٣] .

ووقفت بجواره تسانده وتشد أزره وبذلت له ﷺ مالها وجهدها وصحتها ، وهكذا كان صدق فراستها في النبي ﷺ قبل أن يوحى إليه .

❊ موقف خديجة رضي الله عنها من الدعوة :

كان الرسول ﷺ يدعو إلى الله سرًا لمدة ثلاث سنوات قبل أن يجهر بالدعوة ،

وكانت الدعـوة تسير بنـجاح يومًا بعد يوم ، فلقـد أسلم صديقه أبـو بكر الصديق رضى الله عنه وابن عمه علي بن أبي طالب ، وابنه من التبني زيد بن حارثة .

وكان من يسلم يدعو غيره إلى الإسـلام فأسلم على يد أبي بكر كثير من الناس من الأشراف منهم سـعد بن أبي وقاص وطلحـة بن عبيـد الله وعثمان بن عـفان والزبير بن العوام .

وبعد ثلاث سنوات أمر النبي ﷺ أن يجهـر بالدعوة في قوله تعالى : ﴿ **وأنذر عشيـرتك الأقربين** ﴾ فصـعد الرسول ﷺ جبل الصـفا ونادى على القبـائل حتى اجتمعوا له فقال لهم :

أرأيتم لو أخـبرتـكم أن خيـلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغـيـر عليكم ، أكنتم مصدقي؟

قالوا : نعم . ما جربنا عليك كذبًا قط .

فقال لهم : فإني نذير بين يدي عذاب شديد .

فرد عليه عمه أبو لهب : تبًا لك . . . ألهذا جمعتنا ؟

وأمر أبو لهب واسـمه عـبد العُزى بن عبـد المطلب أمر الناس بالانـصراف عنه مكذبًا للنبي ﷺ .

واشتـد إيذاء الكفار للنبـي ﷺ ومن معه . . وصـبر النبي ﷺ ومـعه السـيدة خديجة زوجـه الصابرة الوفيـة تسانده وتخفف عنه وتعاونه بالنصـح والمال والجهد حتى كـان حصار المشركين لـبني هاشم . . بعد أن رفض عمـه أبو طالب طلباتهم المتكررة بتـسليمه إليـهم كي يقتلوه ، ويعـطوه شابًا من أشرافـهم بدلاً منه . فكان يقول لهم أسلمكم ابني تقتلونه وتعطوني ابنكم لأغذوه لكم .

وفي مرة قال أبو طالب لابن أخيه محمـد ﷺ بعد أن ألحوا في تسليمه أو يكفه عنهم ، فقـال له : يا ابن أخي ارفق بي وبنفسك فظن أنه مـسلمه إليهم فـقال : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر

ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .

فقال أبو طالب : امض لما أردت فوالله لا أسلمك أبدًا .

ولما يأس المشركون من تسليم النبي ﷺ إليهم فرضوا حصارًا على بني هاشم في شعب أبى طالب وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة بدأت بباسمك اللهم . تعاهدوا فيها بمقاطعة بني هاشم وألا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا (يشتروا) منهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم .

وظل هذا الحصار الخانق لمدة ثلاث سنوات والسيدة خديجة صابرة مع زوجها ، وأبو طالب والمسلمون من بني هاشم حتى كاد المسلمون يموتون جوعًا .

وأرسل الله تعالى على الصحيفة - الورقة - التي كتبت فيها قريش اتفاق المقاطعة ، أرسل الله عليها حشرة تسمى الأرضة أكلت الصحيفة وتركت كلمة « باسمك اللهم » .

وأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب أن الله سبحانه وتعالى أخبره أن الأرضة أكلت الصحيفة وتركت اسم الله . . وذهب أبو طالب إلى سادة قريش وأخبرهم بأمر الأرضة التي أكلت الصحيفة .

وكان أربعة رجال قد تواعدوا فيما بينهم أن يطالبوا سادة قريش بفض هذه المقاطعة .

وقال أبو طالب لسادة قريش : أخبرني ابن أخي وهو لا يكذبني قط أن الله قد سلط الأرضة على صحيفتكم فأكلت ما فيها من جور وقطيعة رحم وتركت اسم الله فإن كان كذبني أسلمته إليكم ، وإلا رجعتم عما في هذه الصحيفة من جور وقطيعة رحم .

فقالوا له : قد أنصفتنا وأرسلوا من دخل إلى جوف الكعبة وأتى لهم بالصحيفة فكان الأمر كما أخبر الرسول ﷺ عمه أبا طالب .

وانتهى الحصار وعادت الحياة إلى طبيعتها ولكن المرض تمكن من السيدة خديجة رضي الله عنها ومن أبي طالب .

وكان النبي ﷺ يمسح عنها آلامها ويخفف عنها ، وجاء جبريل عليه السلام يقرئها السلام من رب العزة ويبشرها أن لها فى الجنة بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

والقصب هنا مقصود به اللؤلؤ ، ولا صخب أي : لا ضجيج ، والنصب هو التعب ، أي : بشرها بالنعيم المقيم في جنة النعيم رضي الله عنها .

ثم ما لبثت أن أسلمت الروح إلى بارئها (خالقها) راضية مطمئنة ، وحزن عليها النبي ﷺ حزنًا شديدًا ، وظل يتذكرها ويثني عليها خيرًا بعد وفاتها وإلى آخر حياته المباركة ﷺ .

كانت وفاتها قبل الهجرة بثلاث سنوات أي في نهاية العام العاشر للبعثة النبوية .

وكان أبو طالب قد مات قبلها بشهر وأيام حتى سمى هذا العام عام الحزن حيث مات من كان يدافع عنه ويجيره ومن كانت تواسيه بمالها .

ماتت خديجة رضي الله عنها وكان الإسلام قد وصل إلى أماكن كثيرة غير مكة، وصلت الدعوة الإسلامية إلى الحبشة وإلى يثرب (مدينة الرسول فيما بعد) .

واشتد إيذاء الكفار للنبي ﷺ وأصحابه بعد موت أبي طالب وخديجة وتوالت الأحداث بعد ذلك حتى كانت رحلة الإسراء والمعراج ثم إسلام حمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وبهما عز الإسلام وجاهر المسلمون بالصلاة واغتاظ المشركون بإسلام حمزة وعمر .

٢ - سودة بنت زمعة رضي الله عنها

أسلمت سودة بنت زمعة هي وزوجها السكران بن عمرو بن عبد شمس - أخو سهيل بن عمرو - قديمًا وبايعا النبي ﷺ ، ولما اشتد إيذاء قريش واضطهادهم للمسلمين من أصحاب الرسول ﷺ . هاجر السكران وسودة إلى الحبشة في الهجرة الثانية وتركا الأهل والمال والوطن في سبيل الله تعالى .

وذات يوم رأت سودة بنت زمعة في منامها أن قمرًا انقض عليها من السماء وهي مضطجعة فأخبرت زوجها فقال السكران بن عمرو :

لا ألبث أن أموت .

ومرض السكران فرجع هو وزوجته إلى مكة فمات .

ولما ماتت خديجة رضي الله عنها سعت خولة بنت حكيم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله كأني أراك قد اعتراك الحزن وصاحبك الهم لفقد خديجة ؟

فقال رسول الله ﷺ : أجل كانت أم العيال وربة البيت .

فقالت خولة : لم لا تتزوج يا نبي الله ؟

فتساءل ﷺ : من بعد خديجة ؟

قالت خولة بنت حكيم :

إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا (من سبق لها الزواج) .

فعاد ﷺ يتساءل : فمن البكر .

قالت خولة : بنت أحق خلق الله بك ، بنت أبي بكر أول رجل صدقك وآمن بك .

فتسائل نبي الرحمة : ومن الثيب ؟

قالت خولة : سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول .

فقال نبي الهدى : فاذهبي فاذكريهما - عائشة وسودة - عليَّ .

فذهبت خولة إلى دار زمعة بن عبد شمس ودخلت على سودة فقالت لها : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

فقالت سودة بنت زمعة : وماذا يا أم شريك ؟

قالت خولة : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه .

فقالت في فرح : وددت . . ادخلي على أبي فاذكري له .

فدخلت أم شريك على زمعة بن قيس وكان شيخًا كبيرًا فتساءل: من هذه ؟

فقالت خولة بنت حكيم : أم شريك .

فعاد زمعة بن قيس يتساءل : فما شأنك ؟

قالت أم شريك : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة .

فقال زمعة بن قيس : كفء كريم .

ثم عاد يتساءل : ما تقول صاحبتك - سودة -؟

قالت خولة : تحب ذلك .

فقال زمعة : ادعيها إلي .

فدعت أم شريك سودة فقال لها أبوها :

أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن أزوجك له ؟

فقالت سودة : نعم .

فقال زمعة لأم شريك : ادعه .

فجاء أبو القاسم فقالت سودة بنت زمعة : أمري إليك يا رسول الله .

فقال ﷺ : مري رجلاً من قومك يزوجك .

فأمرت سودة حاطب بن عمرو بن عبد شمس فزوجها ، وأصدقها (أمهرها) النبي ﷺ أربعمائة درهم ، وكانت سودة بنت زمعة أول امرأة تزوجها بعد خديجة رضي الله عنها وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة فدخل بها ﷺ بمكة ، ولما هاجر ﷺ إلى المدينة وبنى مسجده وحجراته وآخى بين المهاجرين والأنصار واستقر في داره أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة فحملا سودة بنت زمعة وأم كلثوم وفاطمة ابنتا رسول الله وأم أيمن امرأة زيد وحمل عبد الله بن أبي بكر أخته عائشة وآل أبي بكر إلى المدينة ، وجعل النبي ﷺ لسودة بنت زمعة يومًا ولعائشة بنت أبي بكر يومًا .

وكانت سودة تخدم أم كلثوم وفاطمة وهي راضية .

وكانت سودة ثقيلة الجسم خفيفة الروح تدخل البهجة على قلب النبي ﷺ . قالت له يومًا .

صليت خلفك الليلة يا رسول الله فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم [رواه ابن سعد] .

فتبسم ﷺ ضاحكًا من قولها .

وكانت سودة تتصف بالطيبة الشديدة التي تقرب من السذاجة ، فلما قدم المسلمون من بدر يسوقون أسارى قريش رأت سودة سهيل بن عمرو مشدودًا بالحبال فقالت: أي أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ألا متم كرامًا ؟

فقال لها ﷺ أعلى الله ورسوله تحرضين ؟

فقالت سودة معتذرة : يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه أن قلت ما قلت .

وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب .

ثم تزوج زينب بنت خزيمة .

ثم تزوج أم سلمة .

وكانت سودة تعلم حب رسول الله ﷺ لعائشة فكانت تحرص على خدمتها فقد أسنت (كبر سنها) وكان رسول الله ﷺ لا يستكثر منها .

وخشيت سودة بنت زمعة أن يطلقها رسول الله ﷺ فقالت له :

يا رسول الله لا تطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة .

فقبل رسـول الله ﷺ فنزل قوله تعالى : ﴿ **فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحًا والصلح خير** ﴾ [النساء: ١٢٨] [أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس] .

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش .

وخرجت سودة مع رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فاستأذنت رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أن تدفع قبل حطمة الناس فأذن لها رسول الله ﷺ [رواه البخاري] .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى كـان نساء النبي يحججن إلا سودة بنت زمعة فكانت تقول : لا أحج بعدها - حجة الوداع - أبدًا .

وبعث الفاروق إلى سودة بنت زمعة بغرارة من دراهم فقالت : ما هذا؟

قالوا : دراهم .

قالت سودة بنت زمعة : في غرارة مثل التمر؟

ثم فرقت سودة غرارة الدراهم على المساكين من أهل المدينة [أخرجه ابن سعد عن ابن سيرين] .

وماتت سودة رضي الله عنها في خلافة الفاروق .

***

٣ - عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها

ولدت بمكة في العام الثامن قبل الهجرة السنة الخامسة من بعثة النبي ﷺ .

ولما توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان في العام العاشر من مبعث النبي ﷺ حزن عليها حزنًا شديدًا حتى خشي عليه ، فقد كانت الزوجة والصديقة .

ولما خفت وطأة الحزن عليها شرع يختلف إلى بيت صديقه أبي بكر بن أبي قحافة فإذا رأى عائشة قال لأمها :

يا أم رومان استوصي بابنتك عائشة خيرًا واحفظيني فيها [رواه ابن سعد عن حبيب مولى عروة مرسلاً] .

فكانت لعائشة منزلة عند أهلها .

وذات يوم ذهب أبو القاسم ﷺ إلى بيت أبي بكر فوجد عائشة مستترة بالباب وهي تبكي بكاء حزينًا فسألها .

ما بك يا عائشة : قالت : أمي .

فدمعت عينا رسول الله ﷺ ودخل على أم رومان فقال لها : يا أم رومان ألم أوصك بعائشة أن تحفظيني فيها ؟

فقالت أم رومان بنت عامر : يا رسول الله بلغت الصديق عني وأغضبته علينا .

فقال نبي الرحمة ﷺ : وإن فعلت .

قالت أم رومان : لا جرم لا أسوئنها أبدًا .

وجاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون - أخى رسول الله ﷺ من الرضاعة- النبي ﷺ وقالت له : ألا تتزوج ؟ الحديث . . . فانطلقت خولة بنت حكيم إلى بيت أبي بكر الصديق فوجدت أم رومان بنت عامر فقالت لها :

يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟

فتساءلت أم رومان بنت عامر : وما ذلك ؟

قالت امرأة عثمان بن مظعون : رسول الله ﷺ يذكر عائشة .

فقالت أم رومان بنت عامر : انتظري أبا بكر فإنه آت .

وجاء الصديق فذكرت له ذلك . فقال : أوتصلح له وهي ابنة أخيه ؟

فرجعت امرأة عثمان بن مظعون إلى أبي القاسم ﷺ وذكرت له قول أبي بكر فقال نبي الرحمة ﷺ :

ارجعي وقولي له : أنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي .

فأتت خولة بنت حكيم الصديق . . فذهب أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله قد كنت وعدت بها أو ذكرتها لمطعم بن نوفل لابنه جبير فأتى الصديق المطعم بن عدي ، ودخل عليه وعنده امرأته أم جبير فقال الصديق :

ما تقول في أمر الجارية - يعني ابنته عائشة ؟

فاستشار المطعم بن عدي امرأته وقال : ما تقولين يا هذه ؟

فقالت أم جبير لأبي بكر : لعلنا إن أنكحنا هذا الصبي إليك تصيبه وتدخله دينك الذي أنت عليه .

كانت تخشى أن يهدى الله قلب ابنها جبير إلى الإسلام على يدى أبي بكر إذا زوجته ابنته عائشة ؟

فقال أبو بكر الصديق للمطعم بن عدي : ما تقول أنت:

فقال المطعم بن عدي : إنها تقول ما تسمع .

فقام الصديق وليس في نفسه من الوعد الذي وعده لمطعم بن عدي شيء .

قال الصديق لامرأة عثمان بن مظعون .

قولي لرسول الله ﷺ : فليأت .

فجاء أبو القاسم ﷺ وعقد على عائشة بنت أبي بكر وأصدقها أربعمائة درهم وقيل : على متاع بيع قيمته خمسون أو نحو من خمسين وذلك بمكة في شوال في العاشر من البعثة - قبل الهجرة بثلاث سنين - وكانت عائشة بنت أبي بكر بنت ست سنين ، وبنى بها وهي ابنة سبع وقيل بنت تسع سنين [رواه سعيد بن منصور في سننه] .

وهاجر رسول الله ﷺ وبنى مسجده وحجراته ثم بعث النبي ﷺ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها أبو القاسم من أبي بكر ليشتريا ما يحتاجان إليه ، وبعث الصديق معهما عبد الله بن أريقط كان دليل رسول الله ﷺ وأبي بكر يوم الهجرة يأمره أن يحمل أهله أم رومان وعائشة وأختها أسماء بنت أبي بكر ، فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا إلى قديد - موضع قرب مكة - اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة أبعرة - جِمَال - ثم رحلوا جميعًا من مكة فصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وحمل زيد بن حارثة زوجته أم أيمن وأسامة بن زيد وخرجوا جميعًا فلما قدموا مدينة رسول الله ﷺ نزلوا في دار بني الحارث بن الخزرج ونزل آل رسول الله ﷺ حجراته التي حول مسجده وذات يوم سأل الصديق صديقه ﷺ :

يا نبي الله ما يمنعك من أن تبني بأهلك - يعني عائشة - ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ : الصداق .

فأعطاه أبو بكر بن أبي قحافة اثنتى عشرة أوقية ونشا - نصف أوقية - فقدمها رسول الله ﷺ مهرًا لعائشة .

وبينما عائشة تتأرجح بين عذقين - فرعين من فروع النخل - وهي ابنة تسع سنين . جاءت أمها أم رومان فأنزلتها ثم مشت بها حتى انتهت بها إلى الباب فمسحت وجهها بشيء من ماء .

تقول أم رومان : ثم دخلت بها على رسول الله ﷺ ، وكان نسوة من الأنصار في البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر .

فأسلمت أم رومان ابنتها عائشة إلى نسوة الأنصار فأصلحن من شأنها .

تقول أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية : كنا فيمن جهز عائشة وزفها .

وعرض رسول الله ﷺ على النسوة لبنًا فقلن : لا نريده .

فقال أبو القاسم ﷺ : لا تجمعن جوعًا وكذبًا .

وزينت أسماء بنت يزيد بن السكن عائشة لرسول الله ﷺ ثم جاءت فدعته لجلوسها فجاء فجلس إلى جنبها فأتى بحس - قدح لبن - فشرب ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت فقالت أسماء بنت يزيد بن السكن : خذي من يدي النبي ﷺ .

فلما نهرتها أسماء بنت يزيد أخذت عائشة القدح فشربت شيئًا فقال لها النبي ﷺ : أعطي تربك[١] .

وأسكن رسول الله ﷺ عائشة بنت أبي بكر حجرة ملاصقة لمسجده الشريف لها مصرع واحد ، كانت غرفة الوحي لكثرة الوحي الذي نزل على النبي ﷺ فيها .

قال رسول الله ﷺ لعائشة : أريتك في المنام ثلاث جاء بك الملك - سرفة من حرير فيقول : هذه امرأتك ؛ زوجتك في الدنيا والآخرة فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي فأقول : إن يك هذا من عند الله يمضه[٢] [رواه الترمذي] .

---

(١) يقصد صاحباتك من النسوة .　　(٢) ينفذه ويحققه .

ودخل أبو القاسم ﷺ يومًا علـى عائشة فوجـدها تلعب بالبنات[١] فسألها : ما هذا يا عائشة ؟

قالت عائشة : خيل سليمان [رواه مسلم وأبو داود] .

فضحك نبي الرحمة ﷺ .

وكان الوحي ينزل في حجرة بنت أبي بكر فذات ضـحى كان إمام الخير ﷺ في حجرتها إذ دخل الحـجرة عليها رجل على فرس فقام إليـه خاتم النبيين ﷺ فوضع يده على معرفـة الفرس فجعل يكلمـه ثم رجع النبي عليه الصلاة والسـلام فقالت عائشة : يا رسول الله من هذا الذي كنت تناجي ؟

قال الصادق المصدوق : وهل رأيت أحدًا ؟

قالت عائشة : نعم رأيت رجلاً على فرس .

فتساءل أبو القاسم ﷺ : بمن شبهته ؟

قالت عائشة : بدحية بن خليفة الكلبي .

قال رسول الله ﷺ : فذاك جبريل . قد رأيت خيرًا .

ثم لبثت مـا شاء الله أن تلبث ودخل جبـريل عليه السلام والنبي ﷺ حجـرتها فقـال رسول الله ﷺ : يا عـائشة ، فـقالت بنت أبي بكـر : لبيك وسعـديك يا رسول الله .

فقال الذي بعثه الله رحمة للعـالمين ﷺ : هذا جبريل وقد أمرني أن أقرئك منه السلام .

فقالت عائشة : أرجع إليه مني السلام ورحـمة الله وبركاته جزاك الله من خير ما يجزى الدخلاء [رواه ابن أبي شيبة والترمذي] .

وتزوج النبي ﷺ حـفصة بنت عـمر ثم أم سلمـة وملأت الغيـرة صدر عـائشة

---

(١) دمى على شكل عرائس (لعب أطفال) .

ولكنها ظلت حبيبة رسول الله ﷺ فقد احتلت في قلب النبي ﷺ منزلة رفيعة من المحبة لم يصل إليها غيرها من أمهات المؤمنين وعرف الصحابة لها هذه المنزلة وأقروا بها ، يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ : أول حب كان في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها [رواه الترمذي] .

ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرون يوم عائشة ليقدموا للنبي ﷺ هداياهم وهو عندها حتى أثار ذلك غيرة أمهات المؤمنين .

وكان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع زوجات رسول الله ﷺ إلى أم سلمة فقلن : يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وإنا نريد الخير كما تريد عائشة فمرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيثما كان أو حيثما دار .

فذكرت هند بنت أبي أمية بن المغيرة ذلك لرسول الله ﷺ فأعرض عنها فلما عاد رسول الله ﷺ إلى أم سلمة ذكرت له ذلك فأعرض عنها فلما كانت الثالثة ذكرت ذلك أم سلمة بنت زاد الركب للنبي ﷺ فقال : يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل على الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها .

فقالت أم سلمة : أتوب إلى الله من ذلك يا رسول الله .

ثم إن أزواج رسول الله ﷺ دعون فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ إلى أبيها فاستأذنت عليه وهو مضطجع مع عائشة في مرطها - ثوبها - فأذن لها فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي بكر وعائشة ساكتة .

فقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة : يا بنية ألست تحبين ما أحب ؟

قالت الزهراء : بلى .

قال رسول الله ﷺ : فأحبي هذه .

فقامت فاطمة بنت رسول الله ﷺ لما سمعت ذلك من أبيها وخرجت إلى

أزواجه فأخبرتهن بالذي قالت وبالذي قال .

فقلن : ما نراك أغنيت عنا من شيء فارجعي إلى رسول الله ﷺ فقولي له : إن نساءك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة .

فقالت فاطمة الزهراء : والله لا أكلمه فيها أبدًا [رواه مسلم] .

فعمد نساء النبي ﷺ فأرسلن زينب بنت جحش إلى رسول الله ﷺ وهي التي كانت تسامى عائشة منزلة وشرفًا من أزواج النبي ﷺ عنده فاستأذنت عليه فأذن لها .

فقالت : يا رسول الله إن أزواجك أرسلنني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة . فوقعت عائشة في زينب بنت عمة رسول الله ﷺ واستطالت وعائشة ترقب طرف النبي ﷺ هل أذن لها ؟ فلم تبرح حتى عرفت رسول الله ﷺ لا يكره أن تنتصر عائشة فلما وقعت زينب بها لم تنشب عائشة حتى أفحمتها.

فقال رسول الله ﷺ : إنها ابنة أبي بكر [رواه مسلم] .

وسأل رجل النبي ﷺ : يا نبي الله من أحب الناس إليك؟

قال إمام الخير ﷺ : عائشة .

فقال الرجل : لا أعني أهلك من الرجال ؟

قال الصادق المصدوق ﷺ : أبو بكر- أبوها - [رواه الطبراني في الأوسط عند سعد بن زرارة وأخرجه البخاري عن عمرو بن العاص] .

وقالت عائشة لرسول الله ﷺ يومًا : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ادع الله يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

فرفع رسول الله ﷺ يديه وقال : اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبًا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثمًا .

ثم نظر إليها نبي الرحمة ﷺ وتساءل : أفرحت يا عائشة ؟

قالت بنت أبي بكر : إي والذي بعثك بالحق .

فقال رسول الله ﷺ : أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي وإنها لصلاتي لأمتي بالليل والنهار فيمن حضر منهم ومن بقى إلى يوم القيامة وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي .

ومن محبة رسول الله ﷺ لعائشة أنه كان بينها وبين أبي القاسم ﷺ كلام فقال لها : من ترضين بيني وبينك ؟ أترضين عمر؟

قالت عائشة : لا أرض عمر قط ، عمر غليظ .

فتساءل نبي الرحمة ﷺ : أترضين بأبيك بيني وبينك ؟

قالت عائشة : نعم .

فبعث رسول الله ﷺ فجاء أبو بكر .

فقال له رسول الله ﷺ : هذه من أمرها كذا .

قالت عائشة : اتق الله ولا تقل إلا حقا .

فاستنكر أبو بكر قول ابنته ورفع يده وهوى بها على أنفها فولت عائشة هاربة منه فلزقت بظهر النبي ﷺ حتى قال له رسول الله ﷺ : أقسمت عليك لما خرجت فإنا لم ندعك لهذا إنا لم نرد هذا ، إنا لم نرد هذا [رواه الديلمي] .

فلما خرج الصديق قامت عائشة فتنحت عن أبي القاسم ﷺ فقال لها : أدني مني .

فأبت أن تدنو منه . فتبسم النبي ﷺ وقال : لقد كنت قبل شديدة اللزوق بظهري .

وذات يوم عيد دخل رسول الله ﷺ على عائشة وعندها جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهر ابنته وقال : مزمار الشيطان عند النبي ﷺ ؟

فأقبل رسول الله ﷺ وقال: دعهمـا يا أبا بكر إن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا . [رواه البخاري والنسائي وابن ماجه عن عائشة] .

فلما غفل غمزتهما فخرجت الجاريتان .

وكان يلعب السـودان - الأفارقة - بالدرق والحـراب فسأل النبي ﷺ عـائشة : تشتهين تنظرين ؟

قالت عائشة : نعم .

فأقام رسول الله ﷺ عائشة وراءه وخدها على خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة خـذوا يا بني أرفدة حـتى تعلم اليهود والنصـارى أن في ديننا فسـحة [أورده السيوطي في الجامع الصغير] .

حتى إذا ملت عائشة قال رسول الله ﷺ : حسبك ؟

قالت عائشة : نعم .

فقال النبي ﷺ : فاذهب .

وأعطى النبي ﷺ ناقة سوداء كـأنها فحمة صعـبة لم تخطم فمسها ودعـا عليها بالبركـة ثم قال : اركبي وارفـقي بها فإنه لم يجـعل الرفق في شيء إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه [رواه البخاري] .

ودخل رسول الله ﷺ على عائشة ذات ضـحى فرأى في يدها فتخات من ورق --خواتم كبيرة من فضة- فتساءل الصادق المصدوق ﷺ : ما هذا يا عائشة ؟

قالت عائشة : صنعتهن أتزين لك يا رسول الله .

قال إمام الخير ﷺ : أتؤدين زكاتها ؟

قالت عائشة : لا أؤد - ما شاء الله - .

قال رسول الله ﷺ : هو حسبك من النار(١) [رواه أبو داود] .

---

(١) أى إذا لم تؤد زكاتها .

وكان رسول الله ﷺ يقول لعائشة : إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت عني غضبى .

فتساءلت عائشة : من أين تعرف ذلك ؟

قال رسول الله ﷺ : أما إذا كنت راضيــة فإنك تقولين : لا ورب محمد وإذا كنت عني غضبى قلت : لا ورب إبراهيم .

قالت عــائشة : أجل والله يا رســول الله ما أهجــر إلا اسمك [أخرجه البخاري والإمام أحمد ومسلم] .

وكانت بنت أبي بكر تحرص على ألا يرى منهــا رسول الله ﷺ إلا ما يسر نظره وخاطره ويدخل السرور على قلبه .

وكانت عائشة تسأل النبي ﷺ : يا رسول الله كيف حبك لي ؟

فيقول نبي الرحمة ﷺ : كقوة الحبل .

فتعود وتسأل : يا نبي الله كيف العقدة؟

فيقول خاتم النبيين ﷺ : على حالها .

❊ ❊ ❊

حديث الإفك

كان حادث الإفك محنة كبيرة امتحنت بها السيدة عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج في سفر أو غزو أقرع - أجرى قرعة - بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها .

وعلم رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون الجموع لقتاله بقيادة سيدهم وزعيمهم الحارث بن أبي ضرار فقرر رسول الله ﷺ أن يباغتهم ويبادرهم بالهجوم قبل أن يباغتوا مدينة رسول الله ﷺ فأقرع بين نسائه فخرج سهم عائشة فركبت هودجها وخرجت معه .

ولقى أصحاب رسول الله ﷺ جيش بني المصطلق على ماء لهم يسمى المريسيع. فكان قتال وانتهى بهزيمة بنى المصطلق وسيقت نساؤهم سبايا ، وعاد رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة فلما كانوا على مقربة منها نزل للراحة وقامت عائشة حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت جيش المسلمين فلما قضت شأنها أقبلت إلى الرحل - الهودج - فلمست صدرها فإذا عقد لها من جزع - خرز يماني - أظفار قد انقطع فرجعت فإذا به قد انسل منها فالتمسته هنيهة ثم عادت إلى مكان هودجها فإذا الذين يحملون رحلها قد احتملوا هودجها على بعيرها التي كانت تركب وهم يحسبون أنها فيه فلم يستنكر القوم حين رفعوه لثقل الهودج .

فاحتملوه وكانت عائشة جارية حديثة السن وتهيبوا أن ينادوها أو يستوثقوا من وجودها في الهودج وساروا .

وعثرت عائشة على عقدها المفقود فجاءت منزلها فلم تجد فيه أحدًا فأقامت

حيث هي وظنت أن أصحاب رسول الله ﷺ عندما يكتشفون غيابها سيرجعون إليها .

وبينما هي جالسة غلبتها عيناها فنامت .

وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء جيش المسلمين يتخلف عنه ليلتقط ما سقط من المتاع .

فلما أصبح صفوان بن المعطل عند منزل عائشة رأى سواد إنسان نائم فأتاها وكان يراها قبل الحجاب فاستيقظت فجعل يسترجع ويعيد كأنه ينبهها بالاسترجاع : إنا لله وإنا إليه راجعون . إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان صفوان يتهيب الحديث إلى أم المؤمنين عائشة .

ثم قرب البعير وقال: أمه قومي فاركبي .

فركبت عائشة وأخذ صفوان بن المعطل بزمام البعير يقوده .

ولما بلغ جيش رسول الله ﷺ في مطلع الصبح واقتيد بعير عائشة إلى مناخه أمام بيتها وأنزل الهودج في رفق فإذا عائشة ليست فيه .

وظل رسول الله ﷺ وأصحابه ساعة من نهار حائرين وانطلق بعض أصحاب رسول الله ﷺ في الطريق يلتمسون بنت أبي بكر وأقبل بعير صفوان بن المعطل واطمأن أبو القاسم ﷺ عندما وجد عائشة بخير وسمع حديثها وسبب تخلفها فما أنكر منه شيئًا .

ثم اشتكت عائشة - مرضت - ووجدها عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين نهزة (فرصة) فراح يقول في كل مجلس ، والله ما نجت منه - يعني صفوان بن المعطل - ولا نجا منها - عائشة - .

وردد ناس من المسلمين ومنهم حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ ومسطح ابن أثاثة قريب أبي بكر وحمنة بنت جحش حديث رأس المنافقين .

ولما سمع صفوان بن المعطل قول حسان بن ثابت في الإفك جاء فضربه بالسيف ضربة على رأسه وقال :

تلق ذباب السيف عني فإنني غلام إذا هوجيت ليس بشاعر

فأخذ جماعة حسان وسبوه وجاءوا به إلى رسول الله ﷺ فأهدر النبي ﷺ جرح حسان واستوهبه إياه .

وبلغ الحديث المسموع سمع النبي ﷺ كما بلغ أذن الصديق فصكها صكًا ولكن أحدًا لم يستطع أن يواجه عائشة بالشائعة الرهيبة .

تقول عائشة بنت أبي بكر : وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرًا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من وجعي غير أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل على رسول الله ﷺ ويقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر حتى خرجت بعدما نقهت[١] فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا[٢] وكنا لا نخرج إلا ليلاً ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[٣] قريبًا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط فكنا نتأذى بالكنف ونتخذها عند بيوتنا فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها .

فقالت : تعس مسطح .

فقالت عائشة : أتسبين رجلاً شهد بدرًا ؟

قالت أم مسطح : أي هنتاه أولم تسمعي ما قال؟

---

(١) النقاهة : بداية الشفاء .

(٢) مكان قضاء الحاجة .

(٣) دورات المياه جمع كنيف.

قالت عائشة : وما قال ؟

فأخبرت عائشة بقول أهل الإفك .

تقول عائشة : فازددت مرضًا على مرضي .

ولما رجعت بنت أبي بكر إلى بيتها ودخل عليها رسول الله ﷺ قال : كيف تيكم ؟

فقالت عائشة : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟

وكانت حينئذ تريد أن تستيقن الخبر من قبل أمها وأبيها .

فأذن النبي ﷺ لعائشة فجاءت أبويها فقالت : يا أماه ما يتحدث الناس ؟

قالت أم رومان : يا بنية هوني عليك فوالله تعلمي ما كانت امرأة وضيئة[1] عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها .

فقالت عائشة : سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟

تقول عائشة : وبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث تأخر الوحي يستأمرهما في فراق أهله .

أشار أسامة بن زيد على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله - عائشة - وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال : يا رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرًا .

أما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية بريرة خادم عائشة تصدقك .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال : أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك ؟

---

(١) جميلة .

قالت بريرة : لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغـمصه - أستصغره - عليهـا غيـر أنها جـارية حديثة السـن تنام عن عجين أهلهـا فتأتي الـداجن - طيور المنزل- فتـأكله . فقـام رسول الله ﷺ فاسـتعذر يومـئذ من عبـد الله بن أبي ابن سلول فقال وهو على المنبر :

يا معشر المسلمين من يعـذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهـل بيـتي ؟ فوالـله ما علـمت على أهلي إلا خيـرًا ولقد ذكـروا رجلاً ما علـمت عليه - صـفوان بن المعطل - إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي . [أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة] .

فقام سعـد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسـول الله أنا أعذرك منه إذا كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج فاحتملته الحمية فقال لابن خالته : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله .

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بـن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله فإنك منافق تجادل عن المنافقين .

فتشاور - تهـارج - الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقـتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت .

تقـول عائشـة : فمكثت يومي ذلك لا يرقـأ لي دمع ولا أكتـحل بنوم فأصـبح أبواي عندي ، وقد بكيـت ليلتين ويومًا لا أكتحل بنوم ولا يرقـأ لي دمع يظنان أن البكاء فالق كبدى .

فبينما هما جالسـان عندي وأنا أبكي فاستأذنت على امـرأة من الأنصـار فأذنـت لها فجلست تبكي معي فبـينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قـيل ما قيل قبلهـا وقد لبث شهـرًا لا يُوحى إليه في شأني .

فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال :

أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت ذنبًا فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه [رواه البخاري ومسلم عن عائشة] .

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمع عائشة حتى ما أحست منه قطرة فقالت لأبيها الصديق .

أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال .

فقال أبو بكر : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ؟ ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل علي ؟ والله ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يعبد الله فيقال لنا في الإسلام؟

فقالت عائشة لأمها أم رومان : أجيبي رسول الله ﷺ .

فقالت أم عائشة : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ » .

فقالت عائشة : وأنا جارية حديثة السن لا أقول كثيرًا من القرآن - لا أقرأ كثيرًا من القرآن - إني والله لقد علمت ولقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم : إني بريئة لا تصدقون بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني والله لا أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف : ﴿ فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾ [يوسف : ١٨] .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشها وهي حينئذ تعلم أنها بريئة وأن الله مبرئها.

تقول عائشة : ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيًا يُتلى ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ليتحدر منه مثل الجمان - اللؤلؤ - من العرق وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول

الذي ينزل عليه فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها قال : أبشري يا عائشة إن الله عز وجل قد برأك [أخرجه البخاري عن عائشة] .

فقالت أم رومان لابنتها عائشة في فرح : قومي إليه .

فقالت عائشة : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل ، بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك وأنزل العلي الحكيم : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ . [النور : ١١ - ١٨] [الحديث رواه البخاري] .

لقد برأ الله تعالى أم المؤمنين عائشة من فوق سبع سموات فخرجت من المحنة بشهادة ربانية لا تمحوها الأيام ولا تبليها الأعوام ، قرآن يتلى إلى يوم تقوم الساعة فزادت مكانتها في قلب رسول الله ﷺ .

وأقيم الحد على الذين يرمون المحصنات الغافلات ﴿ **والذين يرمون المحصنات** ﴾ [النور : ٤] .

وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب ثم أم حبيبة بنت أبي سفيان وميمونة بنت الحارث الهلالية .

فقالت عائشة : يا رسول الله إن لجميع صويحباتي - تعني أزواج رسول الله ﷺ - كنى .

فقال النبي ﷺ : تكنى باسم ابنك عبد الله بن الزبير - ابن أختها أسماء .

تقول أم عبد الله : سابقني رسول الله ﷺ يومًا فسبقته فلبث حتى إذا أرهقني اللحم فسابقني فسبقني فقال هذه بتلك السبقة ، [رواه أبو داود والإمام أحمد عن عائشة] .

وتقول عائشة : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها .

وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربه أو جبريل أن يبشرها ببيت في الجنة بقصر من قصب - ذهب أو لؤلؤ - [رواه الترمذي والبخاري] .

وكان رسول الله ﷺ يقول : « **فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » [رواه الترمذى ومسلم] .

وكانت عائشة تفخر على أزواج النبي ﷺ بعشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلها فقالت :

صورت لرسول الله ﷺ قبل أن أصور في رحم أمي وتزوجني بكرًا ولم يتزوج بكرًا غيري وكان ينزل عليه الوحي وهو بين سحري - رئتي - ونحري ونزلت براءتي من السماء وكنت أحب الناس إليه وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بواحدة من نسائه غيري ولم ينكح امرأة أبويها مهاجرين غيري وكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نساءه وقبض الله نفسه بين نحري وسحري وبات الليلة التي كان يدور علي فيها ودفن في بيتي ولم يله أحد غيري أنا والملك [رواه ابن أبي شيبة] .

وكانت عائشة كبيرة محدثات عصرها ، ذا تأثير عميق في نشر تعاليم الرسول ﷺ فقد نقل ربع أحكام الشريعة عنها .

وكان أكابر الصحابة إذا أشكل عليهم الأمر في قضية من القضايا يستفتون أم عبد الله فيجدون عندها علمًا .

يقول عبد الله بن قيس - أبو موسى الأشعري - .

ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا [اخرجه الترمذي عن أبي موسى] .

ويقول مسروق بن الأجدع : رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض .

ويقول الزهري : لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل .

روت عائشة عن رسول الله ﷺ وأبي بكر والفاروق وفاطمة الزهراء وسعد بن أبي وقاص وحمزة بن عمرو السلمي وحذافة بن وهب [٢٢١٠] حديثًا ، أخرج لها منها في الصحيحين [٢٩٧] حديثًا ، والمتفق عليه [١٧٤] ، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين حديثًا. ومسلم بتسعة وستين، فتعد عائشة من المكثرين - المكثر من زادت أحاديثه على ألف- فتأتي بعد أبي هريرة الذي روى [٥٣٩٤] حديثًا .

وتوفيت أم المؤمنين عائشة في ليلة الثلاثاء لسبع مضين من رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة فصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه .

وشيعت جنازتها غسق الليل إلى البقيع كما أوصت على أضواء مشاعل من سعف النخيل المغموس في الزيت ونزل فى قبرها عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ودفنت مع أزواج النبي ﷺ .

وكان عمرها يومئذ سبعًا وستين سنة ، رضي الله عنها .

***

٤ - حفصة بنت عمر رضي الله عنها

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - ابنة الرجل الثانى والوزير الملهم (المحدث) مات زوجها متأثرًا بجراحه التي أصابته يوم أحد ، إنه الصحابي خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدي السهمي القرشي . كان عمرها حين مات عنها زوجها الأول ثمانية عشر سنة ، وفكر والدها في اختيار زوج لها .

ذهب عمر رضي الله عنه إلى أبي بكر الصديق الذي يتصف بسماحة الخلق والرقة والحكمة يعرض عليه ابنته الجميلة الشابة التقية الحافظة لكتاب الله وهو على يقين من موافقته ، لكن أبا بكر ، صمت ولم يجب عمر فيما عرض عليه .

وذهب عمر إلى عثمان رضي الله عنه وكان عثمان قد ماتت زوجته السيدة رقية ابنة رسول الله ﷺ بعد مرضها أثناء غزوة بدر ، وطلب منه عثمان فرصة أيامًا يفكر فيها ، وبعد أيام من التفكير قال عثمان : « ما أريد أن أتزوج اليوم » .

وغضب عمر لرفض صديقيه الزواج من ابنته ذات الدين والشرف والنسب . وذهب عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه ما فعله أبو بكر وعثمان وتبسم النبي ﷺ وقال لعمر : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة ، وخرج عمر فرحًا مسرورًا وخرج مسرعًا يزف الخبر إلى أهل المدينة .

وقابله أبو بكر وقال : لا تجد علي يا عمر - لا تحزن مني - فإن رسول الله ﷺ ذكر حفصة ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها لتزوجتها .

وهكذا تم زواج رسول الله ﷺ من حفصة رضي الله عنها ابنة صديقه الذي أعز الله به الإسلام .

حفصة في بيت النبي ﷺ

دخلت السيدة حفصة بيت النبوة مع سودة وعائشة رضي الله عنهن ، وكان بيت النبي ﷺ يضم زوجة كبيرة السن (سودة) وأخرى صغيرة السن (عائشة) وثالثة أيضًا صغيرة السن (حفصة) كان عمر يريد ألا تحدث غيرة بين ابنته وعائشة فقال لها ذات يوم :

أين أنت من عائشة وأين أبوك من أبيها ، وسمع يومًا أن ابنته حفصة تراجع النبي ﷺ حتى غضب طوال يومه . . فذهب إليها يعاتبها زاجرًا لها .

تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ، يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله ﷺ إياها ، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لا يحبك ولولا أنا لطلقك [رواه البخاري ومسلم] .

وتمر الأيام والسنون وحفصة في بيت النبوة تداري غيرتها من عائشة لكنها مثل أي امرأة تغار على زوجها ، ولكنها لم تتحرج من معارضة زوجها ﷺ حين يبدو الأمر لا يعجبها ، وتبدي له رأيها .

يروي جابر بن عبد الله عن أم مبشر الأنصارية ، وذكره مسلم في صحيحه عن أم مبشر الأنصارية أنها سمعت رسول الله ﷺ عند حفصة يذكر أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة في الحديبية عندما ذهبوا لأداء العمرة ومنعتهم قريش فقال : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها » . قالت حفصة : بلى يا رسول الله . . فانتهرها النبي ﷺ فقالت له : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا** ﴾ فقال النبي ﷺ وقال الله عز وجل: ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ [مريم : ٧١] .

غيرة حفصة :

اتفقت عائشة وحفصة على السيدة زينب بنت جحش فقد كان يجلس عندها رسول الله ﷺ بعد زواجه منها ويشرب العسل الذي يحبه ، واتفقتا حفصة وعائشة أن تقول كل منهن لرسول الله ﷺ حين يدخل على إحداهن وهو قادم من عند زينب بنت جحش زوجته وقد سقته العسل : إني أجد ريح مغافير أي رائحة كريهة حتى حرم رسول الله ﷺ شرب العسل على نفسه ونزلت آيات سورة التحريم تعاتب النبي ﷺ في ذلك . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ .

[التحريم: ١ - ٥] .

وعندما اتفق نساء النبي ﷺ على أن يطلبن منه زيادة النفقة والتوسعة في المعيشة ، وتظاهرن عليه . وحلف رسول الله ﷺ أن يهجرهن جميعًا شهرًا واعتزلهن وسمى هذا « إيلاءً » .

شاع في المدينة أن رسول الله ﷺ طلق زوجاته . . فقال عمر رضي الله عنه خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون .

وذهب عمر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ وهو معتزل نسائه في مكان بالمسجد وسأله هل طلق نسائه فأخبره ﷺ بأنه لم يطلقهن وأنه هجرهن شهرًا .

ودخل عمر على ابنته حفصة فإذا هي تبكي وسألها ما يبكيك ؟ ألم أكن

حذرتك هذا؟

وقد قيل أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها امتثالاً لأمر الله حين نزل جبريل عليه السلام يقول له : « إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة بعمر وفي رواية أخرى أن جبريل قال : أرجع حفصة فإنها صوامة قوامة وأنها زوجتك في الجنة [رواه الطبراني] .

حياتها بعد وفاة النبي ﷺ :

عاشت حفصة رضي الله عنها في بيت النبوة حتى بعد وفاة الرسول ﷺ عاكفة على العبادة صوامة قوامة ، وحين جمع أبو بكر الصديق القرآن في صحف أوصى أن يكون هذا المصحف عند حفصة بعد موته رضي الله عنه ، وظل عندها في خلافة أبيها عمر رضي الله عنه وفي عهد عثمان رضي الله عنه نسخ من المصحف نسخ ووزعت على الأمصار فكان المصحف الذي جمعه أبو بكر رضي الله عنه عندها فأعطته لعثمان رضي الله عنه لنسخ ما يريد أن ينسخه لتوزيعه على البلاد الإسلامية وقتها ، وعاشت بالمدينة حتى توفيت في عهد معاوية بن أبي سفيان ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة مع أمهات المؤمنين رضي الله عنهن أجمعين .

❋ ❋ ❋

٥ - زينب بنت خزيمة رضي الله عنها

هي خامس أمهات المؤمنين أم المساكين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله ابن عمرو بن عبد مناف الهلالية .

كانت زوجة عبد الله بن جحش الذي استشهد في غزوة أحد ، وتزوجها النبي ﷺ عقب زواجه بحفصة بنت عمر بوقت قصير .

وقد قيل أنها كانت زوجة عبيدة بن الحارث أو غيره وذكر ذلك صاحب السيرة النبوية ابن إسحاق ، وذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة : أنها زوجة الشهيد عبد الله بن جحش ، وكانت حجرتها مجاورة لحجرة حفصة بنت عمر رضي الله عنها .

ماتت رضي الله عنها بعد زواجها من الرسول ﷺ بثمانية شهور .

وكانت رضي الله عنها ذات قلب طيب ، وسخاء وكرم ، كثيرة العطف على الفقراء ، فلقبوها بأم المساكين .

وماتت وعمرها ثلاثون عامًا ، وقد نالت شرف زواجها بالنبي ﷺ في الدنيا والآخرة ، وحظيت بلقب أم المؤمنين .. صلى عليها النبي ﷺ .

وكانت أول أمهات المؤمنين اللاتي دفن في البقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنهن جميعًا .

❋ ❋ ❋

٦ - أم سلمة بنت أبي أمية

كانت أم سلمة هند بنت أمية بن زاد الركب ذات نسب عريق ، وهي من المؤمنين الأوائل هي وزوجها الأول أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم الصحابي الجليل الذي هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة .

وأبوها أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي ، لقب « بزاد الركب » لأنه كان لا يسافر ومعه أحد إلا كفاه زاده ، وكان من أجواد قريش .

وزوج أم سلمة الأول كان ابن عمة رسول الله ﷺ شهد غزوة بدر وأحد ومات متأثرًا بجراح أصابته في غزوة أحد .

هجرة أم سلمة وأبو سلمة من مكة إلى المدينة :

وروى ابن إسحاق في السيرة النبوية وروى صاحب كتاب حياة الصحابة قصة هجرة أم سلمة رضي الله عنها وزوجها من مكة إلى المدينة وخلاصة القصة :

أنها خرجت مع زوجها إلى المدينة المنورة ومعهما ابنهما سلمة ، وشاهدها أهلها فتقدموا إليها وهي راكبة على بعيرها ، وقادوا بعيرها إلى مكة مرة أخرى وغضب أهل زوجها وأخذوا ابنها سلمة منها وتنازعوا فيما بينهما هذا يريد أن يأخذ الطفل وهذا يريد أخذه ، فخلعوا يده ، وانطلق به أهل أبيه ، وأخذها بنو المغيرة عندهم وهم أهلها ، ومضى زوجها أبو سلمة في طريق الهجرة إلى المدينة مهاجرًا في سبيل الله وظلت هي بعيدة عن ولدها وزوجها ما يقرب من العام تبكي ، حتى رق لها ابن عمها وطلب من أهلها أن يتركوها تلحق بزوجها ورد أهل زوجها ابنها سلمة إليها وخرجت بمفردها في طريق الهجرة إلى المدينة المنورة ، حتى كانت

بالقرب من الحدود في منطقة تسمى التنعيم قرب مكة (وهي محل إحرام أهل مكة) لقيت الصحابي عثمان بن طلحة ولم يكن وقتها قد أسلم ، فأمسك بعيرها واصطحبها حتى أوصلها إلى المدينة المنورة سالمة قرب قباء على مشارف المدينة وقال لها أن زوجها في هذه القرية فادخليها ، وانصرف راجعًا إلى مكة .

وظلت فى المدينة بجوار زوجها وابنها . . حتى استشهد زوجها عقب غزوة أحد .

وكان أبو سلمة رضي الله عنه قد حدث أم سلمة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزغ إلى ما أمره الله به من قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها إلا آجره الله في مصيبته وكان قمينًا أن يعوضه خيرًا منها .

قالت أم سلمة : فلما هلك أبو سلمة ذكرت الذي حدثني به عن رسول الله ﷺ فكنت أقول « إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيرًا منها ، ثم قلت : أنى أعاض خيرًا من أبي سلمة ؟ وأنا أرجو أن يكون الله قد آجرني في مصيبتي » .

وبعد وفاة زوجها تقدم إلى الزواج منها أبو بكر وعمر فرفضت برفق .

وتقدم إليها النبي ﷺ خاطبًا فتمنت الزواج منه ﷺ إلا أنها رأت أنها جاوزت سن الشباب ومعها عيال ومع النبي ﷺ زوجاته عائشة وحفصة وسودة فأرسلت إلى النبي ﷺ تقول : أنها تغار وكبيرة السن وذات عيال .

فقال لها النبي ﷺ : « أما أنك مسنة فأنا أكبر منك وأما الغيرة فسيذهبها الله عنك وأما العيال فإلى الله ورسوله » .

ووافقت أم سلمة وتم الزواج في السنة الرابعة من الهجرة في شوال .

وسكنت أم سلمة في مكان السيدة زينب بنت خزيمة التي توفيت قبل زواج النبي ﷺ بها .

أم سلمة في بيت النبوة :

عاشت أم سلمة في بيت النبي ﷺ تقوم بواجباتها نحو رسول الله ﷺ ونحو أبنائها من زوجها أبي سلمة وتسأل رسول الله ﷺ يا رسول الله: هل من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ؟ ولست بتاركتهم هكذا أو هكذا . . إنما هم بنيَّ قال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم .

ولما كلم عمر بن الخطاب ابنته في مراجعة رسول الله ﷺ وكلم أم سلمة في ذلك لقرابته منها قالت له : عجبًا لك يا ابن الخطاب ، قد دخلت في كل شيء حتى تبقى أن تدخل بين رسول الله وأزواجه؟

قال عمر : فأخذتني والله أخذًا كسرتني به عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها .

روى أهل السيرة أن النبي ﷺ كان في بيتها وعندها ابنتها زينب وجاءت السيدة فاطمة الزهراء وولداها الحسن والحسين رضي الله عنهم فضمهما إليه وتلا قوله تعالى : ﴿ **رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد** ﴾ فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله ﷺ في حنو وقال لها : ما يبكيك؟

قالت : يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي . قال : إنك وابنتك من أهل البيت .

فكانت أم سلمة ذات مكانة عند الرسول ﷺ وكذلك كان أولادها في رعاية وكفالة النبي ﷺ .

وفي العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ ومعه الصحابة إلى مكة لأداء العمرة ولكن قريشًا صدت الرسول ﷺ وصحبه عن أداء العمرة عند الحديبية ثم جاءت الوسطاء لحل الخلاف وانتهى الأمر بصلح الحديبية واتفقوا أن تكون العمرة في العام المقبل . وشق ذلك على الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، وقال لهم رسول الله ﷺ : قوموا فانحروا ثم احلقوا ، كي يتحللوا من نسك

العمرة ويعودوا إلى المدينة المنورة حسب الاتفاقية التي قضت برجوع المسلمين هذا العام وعودتهم في العام القابل ، وغير ذلك من البنود والتي تم الاتفاق عليها في هذا الصلح بعد أن كاد القتال ينشب بين المسلمين وقريش ، إلا أن المسلمين لم يفعلوا ما أمرهم به رسول الله ﷺ ، لأنهم كانوا في حالة صدمة ودهشة حيث ظنوا أن الرؤية التي رآها الرسول ﷺ بدخول المسجد الحرام والتي تحدثت عنها سورة الفتح .

ظنوا أن دخول المسجد الحرام يكون في هذا العام ، فدخل رسول الله ﷺ على أم سلمة وكانت في صحبته وذكر لها ما حدث من المسلمين وقال لها هلك المسلمون يا أم سلمة ، قالت : وما ذاك ، قال : أمرتهم أن ينحروا الهدي ويحلقوا رؤوسهم فلم يطيعوا فأشارت أم سلمة عليه أن يخرج إليهم دون أن يكلم أحدًا منهم ثم ينحر هديه ويدعو بالحلاق فيحلق .

فخرج إليهم ﷺ وفعل ما أشارت عليه أم سلمة فقام المسلمون وفعلوا ما فعل رسول الله ﷺ . كان في هذا الأمر الذي أشارت به أم سلمة تجاه المسلمين ورجوعهم عن عصيان رسول الله ﷺ فقد كانت رضي الله عنها من الذكاء والفطنة والفراسة ما جعلها تشير إلى أمر يثير في المسلمين دافع الاقتداء بالرسول ﷺ وعلموا أن الأمر عزيمة لا رجوع عنه ، فكانت ذات عقل رشيد ورأي صائب إلى جانب أنها كانت ذات جمال بارع .

وصحبت أم سلمة رسول الله ﷺ في غزوات كثيرة مثل فتح مكة وفتح خيبر وغزوة هوازن وثقيف وحصار الطائف ثم حجت معه حجة الوداع سنة عشرة من الهجرة وعاشت بعد وفاة النبي ﷺ حتى ماتت بعد واقعة كربلاء التي استشهد فيها الحسين بن علي رضي الله عنهما .

وصلى عليها الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ودفنت في البقيع ، وكانت آخر أمهات المؤمنين موتًا رضي الله عنهن جميعًا .

٧ - زينب بنت جحش(١) رضي الله عنها

اتسم زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش بخاصية لم تكن في أي زيجة أخرى من الزيجات التي سبقتها والتي لحقتها ، فقد زوجه الله تعالى بها ، وكان الزواج قبلها يتم بأن يباشر الرسول ﷺ العقد مع وكيل يكون وليًا للزوجة من أقاربها .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ .

[الأحزاب: ٣٧] .

وجاء زواج النبي ﷺ من السيدة زينب بنت جحش ليبطل عادة التبني التي كانت شائعة في الجاهلية .

فقبل بعثة النبي ﷺ خرجت أم زيد بن حارثة لزيارة أهلها في بني معن بن طئ. وخطف بعض الرجال ابنها زيدًا وباعوه لرجل من قريش يدعى حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي ، وكان زيد حرًا ، واسمه زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب الكلبي ، وكان حكيم بن حزام ابن أخي السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ وقتها واشترت منه الغلام « زيدًا » ووهبته إلى محمد ﷺ فأصبح ملكًا له .

عاش زيد مع رسول الله ﷺ ورأى حسن صحبته وخلقه العظيم وأنه يعامله معاملة الأحرار ويعامله معاملة الأب لابنه ، وكان حارثة أبو زيد يبحث عن ولده،

---

(١) كان العرب يسمون أبناءهم بأسماء تثير الفزع فى قلوب أعدائهم كما يزعمون فكانوا يسمون جحشًا ، وأسدًا ، وفهدًا ، وحجرًا ، وثعلبًا ، وغير ذلك من الأسماء ، وكانوا يحسنون أسماء عبيدهم .

ورآه بعض أقاربه في مكة .

وأخبروا والده الذي جاء مع إخوانه إلى مكة حيث محمد ﷺ وقال له : يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله تفكون العاني وتطعمون الجائع وقد جئتك في ابننا فأحسن أيضًا في فدائه .

قال ﷺ : أوغير ذلك ؟

قال : ما هو ؟

قال : أدعوه وأخبره فإن اختاركما فذاك وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني .

قال حارثة : قد زدت على النُصفة (العدل) .

ودعى زيد فعرف أباه وعمه وخيره النبي ﷺ إن شاء ذهب معهما وإذا أحب ظل معه ، فاختار زيد بن حارثة البقاء مع النبي ﷺ وقال لأبيه وعمه : إني قد رأيت من هذا الرجل شيئًا وما أنا الذي أفارقه أبدًا .

وعند ذلك أخذ محمد بيده وقام إلى الملأ من قريش وأشهدهم أن زيدًا ابنه وارثًا وموروثًا ، وكان التبني أمرًا طبيعيًا في البيئة الجاهلية ، وأصبح اسم زيد بن حارثة زيد بن محمد ، وكان زيد من السابقين إلى الإسلام - كان رابع من أسلم ولما بلغ مبلغ الشباب اختار له النبي ﷺ بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب وهي زينب بنت جحش ، ولم ترض زينب بهذا الزواج لأن زيدًا كان مولى وهي شريفة قرشية هاشمية ، وابنة عمة النبي ﷺ ذات الحسب والنسب والجمال .

ونزل قول الله تعالى :

﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

وأمام أمر الله ورسوله تزوجت زينب بنت جحش زيد بن محمد بالتبني .

فكان زواجها بأمر النبي ﷺ وطاعة الله تعالى وطاعة الرسول ﷺ واجبة كما أمر الله تعالى في الآية السابقة ، وفي غيرها مثل قوله تعالى : ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ ، وقوله: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ .

ولم تنس زينب أنها شريفة قرشية لأن زوجها زيدًا كان عبدًا ، وكانت تعامله بترفع ، فكان زيد يكثر أن يشكوها لرسول الله ﷺ فيقول له ﷺ اتق الله وأمسك عليك زوجك (أي ينهاه عن طلاقها) .

ولكن الله تعالى كان يريد أن يبطل عادة التبني وأن يعلم المسلمون أن زيدًا ليس ابنًا لمحمد ﷺ فكان أمر الله تعالى بطلاق زينب بنت زيد وزواج النبي ﷺ منها - بعد تمام العدة - فيكون هو القدوة في إبطال عادة التبني .

الحكمة في إبطال عادة التبني :

قال تعالى : ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ - أي أعدل - وقال تعالى ﴿ **وما جعل أدعياءكم أبناءكم** ﴾ .

لأن نسب الإنسان إلى غير أبيه مخالف للحق والحقيقة ، والآباء أولى بأبنائهم ولأن المتبني تنكشف أمامه زوجة متبناه على اعتبار أنه ابن وهو أجنبي عنها في الحقيقة ولأنه يرث ما لا حق له فيه فيقاسم الورثة الحقيقيين بل قد يحجب من الميراث بعض المستحقين لأن الابن مقدم في الميراث على إخوة المتوفي ويحجبهم (يمنعهم) من الميراث .

ولا مانع من تربية اللقطاء والعطف عليهم والإنفاق ، ولا مانع من الوصية لهم من الميراث ، والوصية لا يجوز أن تتجاوز ثلث مال الموصي ولكن لا يلحق بنسب من يكفله ويكون أجنبيًا عن الأسرة التي تربيه .

❋ ❋ ❋

زينب بنت جحش في بيت النبوة

كان زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش بعد زواجه من السيدة أم سلمة بعام، وعند فرض الحجاب في السنة الخامسة من الهجرة كان عمرها خمسًا وثلاثين سنة ، وكان اسمها برة فسماها ﷺ زينب .

روى البخاري ومسلم من حديث زينب بنت أبي سلمة ربيبة النبي ﷺ قالت إن زينب بنت جحش قالت : كان اسمي برة فسماني رسول الله ﷺ زينب .

وغارت نساء النبي ﷺ من زينب فهي ذات جمال وشرف وقربى من رسول الله ﷺ وأن الذي زوجها هو الله سبحانه وتعالى .

وكانت زينب بنت جحش تفخر بذلك وتقول لهن : « زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات » [رواه البخاري في صحيحه] .

وقالت فيها عائشة رضي الله عنها : « لم تكن واحدة من نساء النبي تناصبني غير زينب » [رواه ابن إسحاق في السيرة] .

واتفقت السيدة عائشة وحفصة وأم سلمة عليها في قصة شراب العسل المعروفة والتي ذكرناها من قبل .

وكانت رضي الله عنها صالحة تقية ورعة دافعت عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك المعروفة .

وقالت عنها السيدة عائشة : « لم أر قط امرأة خيرًا في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب به إلى الله عز وجل » .

وقال عنها ﷺ لعمر بن الخطاب : « إن زينب بنت جحش أواهة » .

فقال رجل : يا رسول الله ما الأواه ؟

قال : « الخاشع المتضرع » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ [هود : ٧٥] .

قالت عنها أم سلمة : كانت زينب لرسول الله ﷺ معجبة وكان يستكثر منها ، وكانت صالحة قوامة صوامة صناعا[١] وتتصدق بذلك كله على المساكين وعاشت حياتها بعد وفاة النبي ﷺ عابدة لله تعالى وكانت أول نساءه لحوقًا به فقد قال ﷺ لنساءه : « أسرعكن لحاقًا بي أطولكن يدًا » . أي أكثركن صدقة .

أرسل إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنها عطاءها وراتبها ، وكان اثنى عشر ألفًا فجعلت تقول : اللهم لا يدركن هذا المال وقابل ، فإنه فتنة ، ثم قسمته ووزعته في أهلها وأهل الحاجة الفقراء فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فوقف ببابها وأرسل إليها السلام وقال:

بلغني ما فرقت فسأرسل ألف درهم تستبقينها ، وأرسل الألف فتصدقت بها جميعًا لم تبق منها درهمًا .

وكانت وفاتها رضي الله عنها سنة عشرين من الهجرة فقالت لمن حولها :

إني قد أعددت كفني وإن عمر أمير المؤمنين سيبعث إلي بكفني متصدقًا بأجرها، وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوقي فافعلوا .

وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة فكانت أول نساء النبي ﷺ موتًا بعده رضي الله عنها وعنهن -جميعًا .

***

---

(١) المرأة الصناع التى تحترف حرفة فى البيت تتكسب منها ، ولعلها كانت تغزل الخيوط .

٨ - جويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية رضي الله عنها

هي جـويرية بنت الحارث بـن أبي ضرار المصطلقـيـة ، وكـان أبوها مطاعًا في قومه .

روت عائشة رضي الله عنها قالت :

لما أصاب رسول الـله ﷺ سبايا بني المصطلق ، وقعت جـويرية ابنة الحارث بن أبي ضـرار في أسهم لثـابت بن قيس ، فكاتبـتـه على نفـسـها[1] ، وكانـت امرأة جميلة .

فأتت رسول الله ﷺ لتستعينه في كتـابتها ، قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب الحجرة فكرهتها ، وقلت : سيرى منها مثل ما رأيت .

فلمـا دخلت على رسـول الله ﷺ قـالت : يا رســول الله ، أنا جـويرية بنت الحارث بن أبي ضــرار سيد قومــه ، وقد أصابني من البـلاء ما لم يخف عليك ، فوقعت في سهم ثابت بن قيس ، وقد كاتبت على نفسي ، فأعني على كتابتي .

فقال رسول الله ﷺ : « وهل لك في خير من ذلك؟ » .

قالت : وما هو ؟

قال : « أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك » .

قالت : نعم يا رسول الله ، قد فعلت : ففعل رسول الله ﷺ فخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال الناس: أصهار رسول

---

(١) أي اتفقت معه على أن تؤدى له مبلغًا من المال ويحررها .

الله ﷺ ، فأرسلوا من في أيديهم من بني المصطلق ، فلقد أعتق بتزوجه ﷺ إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[١] .

وهكذا أصبحت جويرية من أمهات المؤمنين اللواتي دخلن إلى بيت النبوة ، وكان اسمها برة فحوله رسول الله ﷺ إلى جويرية[٢] ، وذلك لما في الاسم الأول من معاني المدح والتزكية .

وقد قدم أبوها الحارث على رسول الله ﷺ وأعلن إسلامه ، وكانت ابنته يوم زواجها ابنة عشرين سنة .

وكانت المصطلقية رضي الله عنها تكثر من التسبيح ، فحدث وأتى عليها الرسول ﷺ غدوة[٣] وهي تسبح ، ثم انطلق لحاجته ، ثم رجع قريبًا من نصف النهار فقال : أما زلت قاعدة ؟ قالت : نعم .

قال عليه الصلاة والسلام : « ألا أعلمك كلمات لو عدلن بهن عدلتهن ، ولو وزن بهن وزنتهن - يعني جميع ما سبحت - سبحان الله عدد خلقه ثلاث مرات ، سبحان الله زنة عرشه ثلاث مرات ، سبحان الله رضا نفسه ثلاث مرات ، سبحان الله مداد كلماته ، ثلاث مرات »[٤] .

---

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد (٦ / ٢٦٧ ، ٢٧٧) ، وابن سعد (٨ / ١١٦) فى طبقاته ، وأبو داود (٣٩١٢) ، والحاكم (٤ / ٢٦) ، والطبرى (٢ / ٦١٠) فى تاريخه ، والطبرانى (٢٤ / ٦١) فى الكبير .

(٢) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢١٤٠) ، وأحمد (٦ / ٤٢٩ ، ٤٣٠) ، وابن سعد (٨ / ١١٨) فى طبقاته .

(٣) أول النهار .

(٤) حديث صحيح ، أخرجه مسلم (٢٧٢٦) ، وأحمد (٦ / ٣٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠) وابن سعد (١ / ١١٩) .

وحفظت جويرية عدة أحاديث ، واتفق الشـيخان على حديثين ، وروى لها أبو داود والترمذي ، والنسائي وابن ماجه .

وروى عنها : ابن عمر ، وابن عباس ، وعبيد ، ومجاهد ، وغيرهم .

وتوفـيت في المدينة في ربيع الأول من سنة ست وخـمسـين ، ودفنت بالبقـيع رضي الله عنها ، وكان عـمرها يوم توفيت خمسًا وستين سنة وصلى عـليها مروان ابن الحكم عامل معاوية بن أبي سفيان على المدينة .

❊ ❊ ❊

٩ - أم المؤمنين صفية بنت حُيىٍّ

كانت تحيا في بيت أبيها على الديانة اليهودية ، وأبوها سيد قومه .

فهي صفية بنت حيي بن أخطب ، وينتهي نسبها إلى نبي الله هارون عليه السلام .

تزوجت قبل إسلامها : سلام بن أبي الحقيق من أحبار اليهود ، ثم خلف عليها كنانة بن أبي الحقيق ، وكانا من شعراء اليهود ، فقتل كنانة يوم خيبر عنها ، وصارت في عداد السبي (الأسيرات) ، فلما قسمت السبايا صارت في سهم دحية الكلبي ، فقيل للنبي ﷺ عنها : أنها جديرة بأن تكون تحت الرسول ﷺ ، فعوضه عنها .

فقد كانت صفية رضي الله عنها شريفة عاقلة ، ذات حسب ، وجمال ، وقد كان من الحكمة أن يتزوج بها الرسول ﷺ لتأليف قلوب قومها ، ولتتضح صورة الإسلام المشرقة وسماحته ، إنها هي ابنة سيد اليهود الأسيرة لا تقتل ولا تغتصب بل تصبح سيدة كريمة مصونة في بيت النبي ﷺ .

ففي كل زواج نبوي حكمة وعبرة .

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : جمع السبي - يعني بخيبر - فجاء دحية فقال : يا رسول الله أعطني جارية من السبي .

فقال عليه الصلاة والسلام : اذهب فخذ جارية .

فأخذ صفية بنت حيي فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال : يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير ، ما تصلح إلا لك .

فقال : « ادعوه بها » ، فلما جاء بها ، ونظر النبي ﷺ إليها قال: « خذ جارية

من السبي غيرها »[(١)] قال : وأعتقها وتزوجها .

وعاشت صفية بنت حيي في بيت النبوة ، ودخلت في الإسلام وحسن إسلامها ، وقد روى أنس : بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي ! فبكت ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي ، فقال : « ما يبكيك؟» فقالت : قالت لي حفصة أني بنت يهودي .

فقال النبي ﷺ : « إنك لابنة نبي ، وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك؟!».

ثم قال : « اتقي الله يا حفصة! » .

فكان موقف حفصة رضي الله عنها بسبب الغيرة ، وقد رد النبي الشفيق الرحيم إلى صفية اعتبارها .

وقوله ﷺ ابنة نبي يعني هارون عليه السلام ، وقوله عمك نبي يقصد موسى عليه السلام ، وقوله وإنك لتحت نبي : أي زوجة نبي يعني نفسه ﷺ .

وعندما حجت نساء النبي ﷺ مع الرسول ﷺ برك بصفية جملها ، فبكت وجاء رسول الله ﷺ لما أخبروه ، فجعل يمسح دموعها بيده وهي تبكي وهو ينهاها، فنزل رسول الله ﷺ بالناس .

فلما كان عند الرواح ، قال لزينب بنت جحش : « أفقري أختك جملاً » أي : أعيريها وكانت زينب من أكثرهن ظهرًا ، (ركائب) ، فقالت : أنا أفقر يهوديتك؟!

فغضب ﷺ فلم يكلمها ، حتى رجع إلى المدينة ، وظل على ذلك طوال شهري المحرم وصفر ، فلم يأتها ، ولم يقسم لها ويئست منه .

---

(١) خبر صحيح أخرجه البخارى (٧ / ٦٠) ، ومسلم (١٣٦٥) ، وأبو داود (٢٩٩٧)، وأحمد فى المسند (٣ / ١٢٣) .

فلما كان ربيع الأول دخل عليها ، فلما رأته قالت : يا رسول الله ، ما أصنع؟ قال: وكانت لها جارية تخبؤها من رسول الله ﷺ فقالت : هي لك .

فمشى النبي ﷺ إلى سريرها ، وكان قد رفع ، فوضعه بيده ، ورضي عن أهله[(١)] .

ولقد كان النبي ﷺ يجل صفية ، حتى أنه ليخرج لها من المعتكف تكرمة لها ، فقد كانت تأتيه في معتكفه فتزوره ، فحدثته ، فلما خرج إليها مر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا الرسول ﷺ أسرعا ، فقال لهما : « على رسلكما ، إنها صفية بنت حيي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! .

فقال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا »[(٢)] .

وفي رواية أخرى : « فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، وكبر عليهما فقال ﷺ :« إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا »[(٣)] .

من المعلوم أن المعتكف لا يخرج من معتكفه إلا لأمر شديد الأهمية حتى إنه لا يزور مريضًا وإنما يسأل عنه ولا يشيع جنازة ، فخروجه من معتكفه مع صفية يدل على تقرير تكريمه لها ﷺ ورضي الله عنها .

وروت صفية رضي الله عنها عن النبي ﷺ عشر أحاديث ، منها واحد متفق عليه . وتوفيت في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سنة خمسين ، ودفنت بالبقيع[(٤)] رضي الله عنها .

---

(١) حديث حسن أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٧، ٣٣٨) ، وابن سعد (٨/ ١٢٦، ١٢٧) فى طبقاته .

(٢ ، ٣) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٣/ ١٤ ، ١٥٦) ومسلم (٢١٧٥) ، والترمذى (١١٧٢) ، وابن ماجه (١٧٨٠) وأحمد (٣/ ١٥٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٨ / ١٢٠ - ١٢٩) ، والمستدرك (٤ / ٢٨) وغيرهما .

١٠ - أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها

هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب الأموية ، أخت الخليفة معاوية رضي الله عنه وإحدى زوجات النبي ﷺ، تزوجها النبي ﷺ بتوكيل النجاشي ملك الحبشة .

وكانت متزوجة بعبيد الله بن جحش بن رباب الأسدي ، وهاجر معها إلى الحبشة ، ثم ارتد عن الإسلام إلى النصرانية ، فمات مرتدًا ، والعياذ بالله .

فأرسل الرسول ﷺ إليها بالحبشة فتزوجها ومهرها أربعة آلاف درهم ، وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة وجهازها كله من عند النجاشي .

لما دخل عليها أبوها قبيل فتح مكة ، وكان يبحث عمن يشفع لقريش عند رسول الله ﷺ لما نقضت الصلح مع رسول الله ﷺ واعتدوا على حلفائه من خزاعة ، جلس أبو سفيان على فراش رسول الله ﷺ فطوت عنه الفراش قال لها أطويته رغبة بي عن الفراش أم رغبة بالفراش عني ، فلما عاتبها على ذلك قالت له هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك فلم أحب أن تجلس عليه .

وأسلم أبو سفيان إبان فتح مكة ، وحسن إسلامه ، ولما جاء نعيه إلى أم حبيبة دعت بطيب فمسحت ذراعيها ، وقالت : « ما لي من حاجة ، ولولا أني سمعت النبي ﷺ يقول : لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشرًا»[١] .

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه البخارى (٧/ ٧٦) ، ومسلم (١٤٨٦) ، (١٤٨٧) وأبو داود (٢٢٩٩) والترمذى (١٢١٠) ، (١٢١١) ، والنسائى (٦/ ٢٠٠) ، وأحمد (٦/ ١٨٤ ، ٣٢٤).

قولها ما لي من حاجة : أي ما لي حاجة إلى الطيب ولكنها فعلت ذلك لتخرج من الحداد على أبيها بعد ثلاثة أيام .

تروي أم حبيبة تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى اثنتى عشرة ركعة في يومه وليلته تطوعًا من غير الفريضة ، إلا بنى الله له بيتًا في الجنة »[1] .

وروت أم حبيبة عن رسول الله ﷺ خمسة وستين حديثًا ، أخرج لها الشيخان أربعة أحاديث ، واتفقا على حديثين ، ولمسلم مثلهما .

وعاشت أم حبيبة رضي الله عنها حتى توفيت سنة أربع وأربعين ، وقبرها بالمدينة النبوية رضي الله عنها .

***

(١) أخرجه مسلم (٧٢٨) وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

١١ - أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية

هي الصحابية الجليلة ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية زوج النبي ﷺ كانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي قبل الإسلام ، ففارقها ، فتزوجها أبو رهم ، ثم مات عنها ، فتزوجها رسول الله ﷺ بعد انتهائه من عمرة القضاء في السنة السابعة .

وكانت أم المؤمنين ميمونة الهلالية تقية ، لا تخشى في الله لومة لائم ، يروي يزيد بن الأصم فيقول :

دخل ذو قرابة لميمونة عليها ، فوجدت منه ريح شراب ، فقالت : لئن لم تخرج إلى المسلمين فيجلدوك ، لا تدخل علي أبدًا[(١)] .

ويقول ابن الأصم : تلقيت عائشة ، وهي مقبلة من مكة ، أنا وابن أختها ، وقد كنا وقعنا في حائط بالمدينة ، فأصبنا منه ، فبلغها ذلك ، فأقبلت على ابن أختها تلومه ، ثم وعظتني موعظة بليغة ثم قالت :

أما علمت أن الله ساقك حتى جعلك في بيت نبيه ، ذهبت والله ميمونة ، ورمى بحبلك على غاربك .

أما إنها - يعني ميمونة - كانت من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم[(٢)] .

وقد روت أم المؤمنين عددًا من الأحاديث ، روى لها سبعة أحاديث في الصحيحين ، وانفرد لها البخاري بحديث ، ومسلم بخمسة ، وجملة مروياتها ستة وسبعين حديثًا .

---

(١) خبر حسن : أخرجه ابن سعد (٨/ ١٣٩) فى طبقاته .

(٢) خبر حسن : أخرجه ابن سعد (٨ / ١٣٨) ، والحاكم (٤ / ٣٢) .

وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة ، وكانت قد انتهت من أداء الحج ، فلم تعش بعده طويلاً ، فماتت بعد أداء فريضة الحج .

يقول ابن الأصم :

دفنا ميمونة بسرف في الظلة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، وقد كانت حلقت في الحج ، نزلت قبرها أنا وابن العباس .

وكان ابن عباس قد صلى عليها ، ودخل قبرها هو وابن الأصم ، وعبد الله ابن شداد ، وهم بنو إخوانها ، وابن عباس ابن أختها .

وكان ابن عباس رضي الله عنه قد أمر فحملت على الأعناق ، وقال لهم : إذا رفعتم نعشها ، فلا تزلزلوها ، ولا تزعزعوها ، وارفقوا بها ، فإنها أمكم[1] .

وقد أوصت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بحجرتها لابن أختها عبد الله بن عباس رضي الله عنه فاتخذها كمدرسة لنشر العلم بين المسلمين .

ومما روته ميمونة إنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك أن يعمهم الله بعذاب » [رواه أحمد وأبو يعلى] .

***

(١) خبر حسن : أخرجه ابن سعد (٨ / ٤٠) ، والحاكم (٤ / ٧٣) ، من طريقين .

سراري الرسول ﷺ

١ - مارية القبطية

هي مارية القبطية (المصرية) أم إبراهيم .

بعث المقوقس ملك الإسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بمارية وأختها سيرين ، وألف مثقال ذهبًا ، وعشرين ثوبًا لينا ، وبغلة تسمى دلدل، وحمار يسمى عفور ، ويقال : يعفور .

وأرسلهم مع ابن عم لمارية شيخ كبير ، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة .

وكان الرسول ﷺ قد أرسل رسالة إلى المقوقس يدعوه فيها إلى الإسلام فلم يعلن دخوله في الإسلام ورد المقوقس قائلاً : قرأت كتابك وعلمت ما فيه وأرسلت بهدية مع رسولك .

فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت ، وأسلمت مارية وأختها ، وكان رسول الله ﷺ يحب أم إبراهيم القبطية ، فأنزلها في العالية في مقدمة مدخل المدينة النبوية ، في الموضع الذي يسمى مشربة أم إبراهيم .

وكان رسول الله ﷺ يختلف إليها هناك ، وضرب عليها الحجاب ، وكان يطأها بملك اليمين .

فلما حملت ووضعت هناك ، وقابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشر رسول الله ﷺ بإبراهيم ، فوهب له عبدًا ، وكان ذلك في

ذي الحجة من سنة ثمان ، وتنافست الأنصار في إبراهيم وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبي ﷺ لما يعلمون من محبته لها .

وكانت أم إبراهيم في دارها ، وابن عمها يأوي إليها ، ويأتيها بالماء والحطب ، فقال الناس في ذلك علج يدخل على علجة .

أي كافر يدخل على كافرة .

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأرسل علي بن أبي طالب فوجده علي ، فلما رأى السيف وقع في نفسه ، فألقى الكساء الذي كان عليه ، وتكشف فإذا هو مجبوب .

(والمجبوب هو منزوع الخصيتين أو مقطوع الذكر) .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه : كان رجل يتهم بأم إبراهيم ولد رسول الله ﷺ فقال لعلي : اذهب فاضرب عنقه ، فأتاه علي رضي الله عنه فإذا هو في ركن يتبرز فيها ، فقال له علي : اخرج ، فناوله يده ، فأخرجه فإذا هو مجبوب لبس له ذكر ، فكف عليٌّ عنه ، ثم أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنه لمجبوب .

أكون كالسكة المحماة أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فقال : « بل الشاهد يري ما لا يرى الغائب»(١) .

وهذا الرجل الذي أساء به البعض الظنون ، هو ابن عم مارية ، الذي جاء معها من مصر ، فاطمأن رسول الله ﷺ إلى ذلك .

وعاشت مارية القبطية رضي الله عنها حتى حزنت لموت ولدها إبراهيم ، وحزن معها الرسول ﷺ ، وسائر المسلمين .

---

(١) حديث صحيح أخرجه ابن عبد البر (٤ / ١٩١٢) في الاستيعاب ، وأبو نعيم (٣ / ١٧٨) ، (٧/ ٩٢) في الحلية وغيرهما .

يقول أنس رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ: « ولد لي الليلة غلام فسميته بأبي إبراهيم » .

ثم دفعه إلى أم سيف امرأة حداد المدينة ، يقال له :أبو سيف ، فانطلق إليه ، فقال له ما شاء الله أن يقول ، قال أنس : فلقد رأيت إبراهيم بين يدي رسول الله ﷺ وهو يجود[١] بنفسه ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضى الرب ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون »[٢] . فالمنهي عنه الجزع وعدم الصبر ، فمجرد البكاء ،ودمع العين ليس بحرام ، بل هو رحمة .

ثم صلى عليه صلاة الجنازة ،وأعلم المسلمين أن ابنه مات وهو فى سن رضاع الثدي ، حيث تغذيته بلبن الثدي .

قال النبي ﷺ: « إن له مرضعًا يُتم رضاعه في الجنة » .

وفي رواية أخرى : « إنه له لظئرين[٣] تكملان رضاعه في الجنة»[٤] .

وعاشت مارية رضي الله عنها حتى توفى رسول الله ﷺ ، فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق عليها من بعده حتى توفي .

ثم كان عمر رضي الله عنه ينفق عليها حتى توفيت في خلافته ، وذلك في المحرم من سنة ست عشرة ، وكان يحشر الناس بنفسه لشهود جنازتها ، وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودفنت بالبقيع بالمدينة المنورة رضي الله عنها .

---

(١) يحتضر .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخارى (٦١٩٥) ، وأحمد (٤ / ٢٩٧ ، ٣٠٤) ، وابن أبى شيبة (٣ / ٣٧٩) .

(٣) الظئر مرضعة ولد غيرها .

(٤) حديث صحيح : أخرجه مسلم (٢٣١٦) ، وأحمد (٣/ ١١٢) .

٢ - ريحانة بنت زيد رضي الله عنها

في العام السادس الهجري هزم الله الأحزاب من قريش وحلفاؤها الذين حاصروا المدينة حول الخندق حصاراً دام خمس عشرة ليلة .

ولما كان بنو قريظة - اليهود - قد خانوا عهد الله ورسوله وتحالفوا مع الأعداء ضد المسلمين ونقضوا المعاهدة ، فقد ذهب إليهم رسول الله ﷺ ومعه المسلمون لحصارهم بعد ذهاب الأحزاب من حول المدينة ، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ أن يؤذن بلال في الناس : لا يصلين العصر إلا في بني قريظة .

وانطلق المسلمون إلى بني قريظة وحاصروهم ومرت الأيام ويهود بني قريظة في حصونهم حتى ألقى الله الرعب في قلوبهم، وطلبوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ وكانوا سبعمائة وخمسة مقاتلاً فأمر بهم أن يقيدوا وأن تجمع النساء والذراري (الأطفال) في الحصون وكانوا ألفا .

وحكم فيهم سعد بن معاذ الأنصاري بناء على طلبهم فقال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال ، وتسبى الذراري ، والنساء ، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار .

فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات .

وتم تنفيذ حكم سعد بن معاذ ، فكان من نصيب رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمر من بني النضير .

إن ما فعله يهود بني النضير بتحالفهم مع أعداء المسلمين وأعداء المدينة وانحيازهم لأعداء وطنهم ونقضهم للمعاهدة مع رسول الله ﷺ والمسلمين دون

جناية من المسلمين في هذا الوقت العصيب وقت حصار المدينة من سائر قبائل العرب من قريش وفزارة وغطفان وثقيف وهوازن والأعراب من مختلف البوادي يعد ما فعله اليهود في هذا الوقت خيانة عظمى ، فنالوا ما يستحقون من عقاب .

وكانت ريحانة ذات حظ من الجمال ، وتحظى بمكانة رفيعة في قومها وكانت تعيش مع زوجها قبل مقتله في حياة رغدة .

وعرض عليها رسول الله ﷺ الإسلام فأبت ، فتركها وشأنها فقال لها : « إن أسلمت اختارك رسول الله ﷺ لنفسه » ، فأبت فشق عليه ذلك[1] . ثم أسلمت بعد ذلك ، وسر رسول الله ﷺ لإسلامها وخروجها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان والإسلام .

وكانت ريحانة قبل إسلامها في دار أم المنذر سلمى بنت قيس الأنصارية ، فظلت عندها وشعرت بطمأنينة واستعرضت أحوال قومها اليهود ، وكيف غدروا برسول الله ﷺ وعهده ، وكيف أنهم يعلمون أنه النبي لا كذب ولكنه الحق الدفين في قلوبهم ، ومر كل ذلك بخلدها ، وجاء رسول الله ﷺ بعد فترة ، يعرض عليها الإسلام فأجابته : إني أختار الله ورسوله ، وأسلمت ، ودخلت البيت النبوي .

خيرها رسول الله ﷺ وقال : « إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببت أن تكوني ملكي فعلت » .

فقالت : يا رسول الله أكون ملكك أخف علي وعليك[2] .

ولم يذكرها أصحاب السير في زوجات النبي ﷺ لا هي ولا مارية القبطية .

ماتت رضي الله عنها في السنة العاشرة بعد عودته ﷺ من حجة الوداع ودفنها ﷺ بالبقيع .

---

(١) طبقات ابن سعد . (٢) البداية والنهاية .

تعدد الزوجات في الإسلام وفي الشرائع الأخرى

يشن بعض المستشرقين[١] والمستغربين[٢] وأعداء الإسلام حملات شعواء على تعدد الزوجات في الإسلام ، ويثيرون المرأة ويوهمونها أن هذا التعدد فيه ظلم لها وإهدار لحقوقها وأنه رمز للتخلف ، في حين أن هؤلاء لديهم ما يعرف بتعدد الصديقات ، ورغم أن التعدد كان مباحًا في الأمم السابقة والشرائع التي سبقت الإسلام ، وجاء الإسلام ليحدد هذا التعدد الذي كان يصل أحيانًا لأن يجمع الرجل في عصمته عشر زوجات أو مائة زوجة .

ونبي الله يعقوب (إسرائيل) عليه السلام وهو جد بني إسرائيل كانت له أربع زوجات : ليئة ، راحيل ، زلفة ، بلهة .

ونبي الله وكليمه موسى- عليه السلام - كانت له ثلاث زوجات ،هن : صفورة ، المرأة الكوشية ، بنت القيني ، (سفر التكوين الإصحاح الثاني ، وسفر العدد الإصحاح الثاني ، وسفر القضاء الإصحاح الأول) .

ونبي الله داود - عليه السلام - كانت له تسع زوجات منهن : ميكال ، أبيجال، أحنيو عم البزرعيلية ، معكة بنت تلماى ، مجيث ، إيبطال ، عجلة . (صموئيل الأول ، الثاني ، الثالث) .

---

(١) الذين درسوا دراسات الشرق الإسلامى من تاريخ وعلوم الإسلام وأكثرهم يريدون التشكيك فى الإسلام بدافع الحقد على المسلمين .

(٢) الذين تأثروا بالحضارة الغربية وتعلموا فى بلاد الغرب فتأثر بعضهم بالادعاءات المغرضة فحاولوا صبغة العالم الإسلامى بالصبغة الغربية .

ونبي الله سليمان - عليه السلام - كانت له سبعمائة من الزوجات وثلاثمائة من السراري (سفر الملك الإصحاح الحادي عشر) .

وأبو الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - كانت له ثلاث زوجات هن : سارة ، هاجر ، قطورة (سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون) .

وجاء المسيح عليه السلام مصدقًا لما جاء في التوراة ولا يوجد نص في الإنجيل يحرم تعدد الزوجات ، بل جاء في بعض رسائل يونس ما يفيد التعدد وجوازه وجاء في إنجيل متى « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقص بل لأكمل » .

وقد أثنى المفكرون الغربيون على نظام تعدد الزوجات ونادوا بإباحته لإنقاذ المجتمع من الرذيلة ، يقول جوستاف لوبون في كتاب « حضارة العرب » : إن مبدأ نظام تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به ويزيد الأسر ارتباطًا ، ويمنح المرأة احترامًا وسعادة لا نراهما في أوربا .

*** تعدد زوجات النبي ﷺ :**

كل زيجات الرسول ﷺ لها مبرراتها السياسية والاجتماعية ، ورغم أن التعدد أمر طبيعي أباحه الشرع ، ورغم أن الرسول ﷺ نفر من كل الشبهات أو الاتهام ، ونحن نتأسى به ونقتدي ونستلهم أفعاله ﷺ الصواب والخطأ والحلال والحرام فليس للمؤمن أن يستدرك على رسول الله ﷺ .

١ - زواجه من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها :

هي أول زيجاته ﷺ فكان قبل البعثة وبلغت من العمر ٤٠ سنة ، وهو خمس وعشرين سنة ، وعاش هذا الزواج المبارك خمس وعشرين سنة لم يتزوج عليها رسول الله ﷺ .

٢ - زواجه من سودة بنت زمعة :

تم هذا الزواج بعد وفاة خديجة رضي الله عنها وأصبح بلا زوجة وعنده أولاده يحتجن إلى الرعاية ، وهو مشغول بالدعوة وكانت سودة أرملة بلغت من العمر خمس وخمسين عامًا لا ناصر لها ولا معين .

٣ - زواجه من عائشة رضي الله عنها :

هي الوحيدة التي تزوجها الرسول ﷺ وهي بكر ، وكان الزواج لتوطيد وتكريم العلاقة بينه وبين صديقه ووزيره أبي بكر .

٤ - زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

وكانت أرملة خنيس بن حذافة رضي الله عنه ، وقد استشهد في غزوة أحد ، وتزوجها النبي ﷺ تكريمًا لعمر وتشريفًا له كما فعل مع صديقه أبي بكر .

٥ - زواجه من زينب بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها :

وكانت أرملة عبد الله بن جحش ، مات عنها زوجها في غزوة بدر وكانت بحاجة إلى رعاية وكفالة كريمة وتوفيت بعد زوجها بثمانية أشهر .

٦ - زواجه من هند بنت أبي أمية (أم سلمة) رضي الله عنها :

مات عنها زوجها أبو سلمة وكان عمرها قد جاوز الخمسين أو الستين ، ولها أبناء صغار ، ولا كفيل لهم ، فتزوجها النبي ﷺ رعاية لأبنائها ومكافأة لها على جهادها في الإسلام وهجرتها إلى الحبشة والمدينة .

٧ - زواجه من زينب بنت جحش رضي الله عنها :

وهي ابنة عمة رسول الله ﷺ كانت زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه رسول الله ﷺ قبل البعثة ، وقد أبطل الله سبحانه وتعالى نظام التبني .

٨ - زواجه من جويرية بنت الحارث رضي الله عنها :

تزوجها رسول الله ﷺ بعد مقتل زوجها عدو الإسلام في غزوة بني المصطلق وقد وقعت أسيرة ، فأعتقها رسول الله ﷺ فكانت بركة على أهلها وقد أطلق المسلمون أهلها من الأسر وأصبحوا عونًا للإسلام .

٩ - زواجه من أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها :

أسلمت وهاجرت إلى الحبشة وهناك ارتد زوجها عبيد الله بن جحش عن الإسلام ، فصبرت وبقيت على الإسلام ، وفارقت زوجها وعاشت وحيدة في الغربة لا تستطيع العودة إلى أهلها فقد كان أبوها زعيم المشركين في مكة .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى ملك الحبشة يخطبها وتزوجها وظلت هناك حتى حضرت للمدينة عقب غزوة خيبر .

فكان الزواج منها تكريمًا لتلك المرأة الصابرة المؤمنة المهاجرة وتأليفًا لقلوب أهلها بني أمية .

١٠ - زواجه من صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها :

كانت بنت سيد قومها من اليهود وبني قريظة ، وأسرت في غزوة خيبر بعد قتل زوجها ومقتل أبيها .

فتزوجهـا رسول الله ﷺ تكريمًا لها وتلطفًا بها ، وقد أسلم من اليهـود كثيرون بعد هذا الزواج المبارك .

١١ - زواجه من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها :

كانت أرملة أبي رهم بن عبد العزى ، وهي آخر زوجات النبي ﷺ تزوجها بعد عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة .

وكان ﷺ يرغب في تأليف القـبائل وهدايتهم للإسـلام حيث أن قرابة السـيدة ميـمونة مـتشـعبـة في بني هاشم وبني مـخزوم . هكذا كـان زواج النبي ﷺ من زوجاته كلهن له أسبـاب سياسية واجتـماعية ودينية وفـوق ذلك كله فقد أحل الله تلك الزيجات ، فلم تكن بدعًا أو أمرًا مستغربًا .

***

المراجـــــع

١ - شذرات الذهب .

٢ - التهذيب .

٣ - طبقات ابن سعد .

٤ - المستدرك .

٥ - الاستيعاب .

٦ - أسد الغابة .

٧ - تهذيب الكمال .

٨ - تاريخ الإسلام .

٩ - مجمع الزوائد .

١٠ - صفة الصفوة .

١١ - البداية والنهاية .

١٢ - صحيح البخاري .

١٣ - صحيح مسلم .

١٤ - سير أعلام النبلاء .

١٥ - السيرة النبوية لابن هشام .

١٦ - تاريخ الإسلام للذهبي .

١٧ - الإصابة لابن حجر .

١٨ - زوجات الرسول - منصور عبد الحكيم .

١٩ - زوجات الرسول - عبد العزيز الشناوي .

٢٠ - الصحابيات الصالحات حول الرسول - مجدي محمد السيد .

٢١ - حياة الصحابة .

٢٢ - الرحيق المختوم .

٢٣ - سيدات آل البيت - منصور عبد الحكيم .

٢٤ - سيدات آل بيت النبوة .

❋ ❋ ❋

المؤلف في سطور

بكر محمد إبراهيم

* مواليد السيدة زينب بالقاهرة
* واعظ ورئيس أنصار السنة بالسلام
* صدر له أكثر من خمسين كتابًا .

٭٭٭ أساتذته :

تتلمذ على يد كثير من العلماء أمثال الشيخ إبراهيم جلهوم ، والشيخ محمد عبد المطلب صلاح خطيب الأزهر الأسبق ، والشيخ إسماعيل صادق العدوي خطيب الأزهر السابق ، والشيخ الشعراوي ، وكثير من علماء الجمعية الشرعية وأخيرًا علماء أنصار السنة ، ومنهم الشيخ فتحي عثمان ، والشيخ أحمد فهمي ، والشيخ أحمد غريب ، والشيح حسن البنا ، والشيح أحمد سالم ، والشيخ صفوت نور الدين وغيرهم .

٭ قام بنشر دعوة الإسلام بمدينة السلام ، ومصر الجديدة ، وغيرها من الأحياء.

٭ يكتب في مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية يقوم بإلقاء دروس في علوم التاريخ الإسلامي والتفسير والعقيدة والفقه في المساجد المختلفة .

* بدأ في الخطابة في مساجد القوات المسلحة منذ ثلاثين عامًا .

له تلاميذ كثيرون أخذوا عنه العلم .

والده رحمه الله من مواليد محافظة الغربية .

يعمل مدير إداري بإحدى الوزارات .

مقيم حاليًا بمدينة السلام .

* * *

الفهـــرس

****

سراري رسول الله ﷺ